

جيسي محفوظ

الحب تحت المطر



20.3.2017



نجيب محفوظ

الحب تحت المطر

دار الشروق

الحب تحت المطر



الحب تحت المطر
نجيب محفوظ

إخراج ولوحات الغلاف : حلمي التونسي

الطبعة الأولى ١٩٧٢

طعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٦

الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧ ، الثالثة ٢٠٠٩

الطبعة الرابعة ٢٠١٦

تصنيف الكتاب: أدب / رواية

© دار الشروق

٧ شارع سيفويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
www.shorouk.com
dar@shorouk.com

رقم الإيداع ٤١٤١ / ٢٠٠٦
ISBN 978-977-09-1547-9

١

تيار من الخلق لا ينقطع. يتلاطم في جميع الاتجاهات. تند عنه أصوات من شتى الطبقات. ويشكل في جملته خليطا من ألوان الطيف. سارا جنبا إلى جنب صامتين. هي في فستان بني قصير وشعرها الأسود يتهدل حول الرأس وفوق الجبين. وهو بقميصه الأزرق وبنطلونه الرمادي وشعره المرسل إلى اليمين. في عينيها نظرة عسلية مستطلعة. وفي عينيه جحوظ خفيف، ولكنه يواثم تماما أنه الحاد المستقيم. وبقدر ما استسلمت للمشي كان هو يتحين الفرص. قال:

- الزحام لا يطاق.

فتمتمت باسمة:

- ولكنه مسل للغاية.

واعتبر ردها مناورة لطيفة ليس إلا. بل استجابة لرغبة القلبية. وأشار بذراعه المفتولة إلى كافيتريا هارون فمالت معه إليها بلا تردد. ومضيا إلى الحديقة الخلفية فاختارا مجلسا شبه حال تحت تكعيبة اللبلاب. وتفحصا المكان، وتبادلوا نظرات. استشعر دون شكайه حرارة الجو المشبعة بالرطوبة. وطلب قدحين من شراب الليمون. وكان يتوجب

للكلام فيما يهمه ولكنها قال لنفسه فليأت الكلام في وقته وبطريقة عفوية فهذا أفضل. قال:

- مضى عهد الجامعة كحلم.

فقالت تكمل جملته:

- بمتابعه ومسراته.

- وما هي إلا أشهر حتى يتسلم كل منا وظيفته.

فأخذت رأسها بالإيجاب، ثم تسأله:

- ولكن إلى أين تمضي الدنيا؟

هذا السؤال الذي يرتفع به في كل مكان وزمان. إلى أين؟ حرب أم سلام؟ وطوفان الشائعات؟

- لتensus إلى حيث تشاء.

وشربوا الليمون حتى دمعت عيناهم، ثم سألهما:

- وما أخبار أخيك إبراهيم؟

- بخير، رسائله قليلة، ولكنه يجيء من الجبهة مرة كل شهر..

وكأنما أرادت أن تعذر عنه فقالت:

- مرزوق.. لو لم تكن وحيد أبويك لاستدعيت مثله إلى الجنديه..

فلم يعلق بحرف.. واستسلاماً معاً للصمت. وعاوده التوثب للكلام في موضوعه، فقال ضاحكاً:

- لا يجوز أن نضفي البراءة على اجتماعنا أكثر من ذلك..

فلعبت في عينيها نظرة مرحة وقالت:

- إذن فاجتماعنا بريء!

فقال بجدية:

- أعني الموضوع الذي حدثك عنه أختي سنية..

فقالت بحذر:

- لا تنقصك الصديقات فيما أعلم؟

فقال بجدية أكثر:

- نحن نتحرك بدافع اللهو كثيرا، ثم يجيء وقت فلا يقنعنا إلا الحب
ال حقيقي ..

- الحقيقي؟

- هذا ما أعنيه تماما يا عليات..

فتردلت قليلا ثم تساءلت:

- ألا يعد الزواج في حالتك سابقا لأوانه؟

فقال بازدراء:

- ذلك من كلام السلف، ولكن لا أهمية للوقت ما دمنا نسيطر على
مصيرنا..

فسألته باهتمام:

- وهل أنت واثق من مشاعرك؟

فرمقها بحنان وهو يقول:

- من عيوبي الجوهرية أنني لا أحسن التعبير عن مشاعري، كم مرة
التقينا؟ ومع ذلك فلم أنوه بجمالك أو ثقافتك مرة واحدة.

ولما لم تنبس سألالها بحرارة:

- لِمَ لا تتكلمين؟

فقالت وهي تنهد:

- لا أدرى، كأنني خائفة..

فقال برقة:

- الحق أني أحبك كأعز شيء في الدنيا.

فغمغمت باسمة:

- هذا أفضل..

فضحك بسرور وقال:

- عندي ما هو أجمل..

واعترفت قائلة:

- والحق أني لم أكن سلبية في المعركة وأنت تعلم ذلك..

فاستخفه الطرف وقال:

- اعتبريني مجنونا بك!

فخفضت بصرها وهمست:

- وأنا سعيدة كما يجدر بإنسان يبادلك مشاعرك..

فاجتاحه السرور والإلهام وقال:

- ما كان أحب إلي أن أتلقي هذه السعادة في مكان لا يشاركتنا فيه أحد.

وضحكا معا. وصمتا وهمما يتبدلان النظرات. واقترب عليها الذهاب إلى حديقة ما. وقاما وهي تقول:

- لا تنس أنه توجد في الطريق متاعب!

فهز منكبيه قائلًا:

ـ أعتقد أنها متاعب لا تذكر بالقياس إلى متاعب العالم!

٢

انتصف الليل فخلت مقهى الانشراح بشارع الشيخ قمر من زبائنهما. لم يبق من عمالها إلا عم عبده بدران النادل وعشماوي ماسح الأحذية. ومضى عشماوي بهيكله الضخم الخاوي إلى الخارج فجلس القرفصاء جنب مدخل المقهى ينظر إلى لا شيء بعينيه العشاوين. أما عم عبده فاقتعد كرسيًا وسط المدخل وأشعل سيجارة. وبعد ربع ساعة مرقت سيارة مرسيدس بيضاء أمام المقهى ثم وقفت على مبعدة يسيرة لصدق الطوار فرفع عشماوي رأسه نحوها وهو يقول:

ـ الأستاذ حسني حجازي.

وقام عم عبده بدران ليستقبل القadam الذي أقبل بجسمه الطويل التحيل ورأسه الضخم رافلا في بدلة بيضاء آية في الأنفة. حيا الرجلين باسمهما واتخذ مجلسه على حين مضى عم عبده ليجيئه بالنارجيلة وزحف عشماوي ناحيته ليمسح حذاءه. ولأن حسني حجازي هو زبون ما بعد متتصف الليل الوحيد - كلما سمح له الوقت - فقد نشأت بينه وبين الرجلين علاقة حميمة وحوار متبدال. والحق أنه يأنس إلى وقار عم عبده - في الستين من عمره - ويعجب ببدلة عمله العتيقة وصلعته المستديرة الضاربة للاحمرار، ونظرة عينيه الثقيلة الطيبة. وأيضا فهو يعجب كثيراً بعشماوي الذي لا يعرف له سن وإن قدرها بما بين السبعين والثمانين، ويشيره منظر هيكله الضخم الخاوي كحفرة متبقية من زمن

الفتونة. ويحيى بكل إجلال صموده في معركة الحياة رغم هوان الصحة والسمع والنظر وزوال المجد. وكان عم عبده يعني بنار جيلة الأستاذ عنانية خاصة. لا من أجل البقشيش فحسب، ولكن لعلمه بأنها السر وراء زيارات الأستاذ للانشراح بالإضافة إلى حينيه إلى سقط رأسه بشارع الشيخ قمر. والأستاذ حسني في الخمسين ولكنه يفيض بحيوية عجيبة ولم تشب له شرة واحدة، ويبدو أنه يسعد حقيقة بوجوده في المقهى المتواضع بين أصحابه وفي مناجاته الطويلة مع النارجيلة. وكالعادةبدأ الحديث بتبادل النيران في الجبهة، وتساؤلات عن الغد القريب والبعيد، وكلمات رقيقة بقصد الاطمئنان على إبراهيم ابن عم عبده وغيره من المعجذبين من أهل درب الحلة موطن عشماوي. وكان يعتبر عشماوي نموذجاً لجماهير غفيرة لا يتاح لها الاتصال بها هي المتحمسة حقاً للقتال بلا قيد ولا شرط، وبلا خوف، وبلا اكترات للعواقب. وقال لنفسه: علام يخافون وهم لا يملكون إلا الكرامة والأسطورة؟ وقال لنفسه أيضاً: إن المعذبين حقاً هم الوطنيون الصادقون. ولما فرغ عشماوي من مسح الحذاء اقترب عم عبده بدران من مجلس الأستاذ ومال نحوه قليلاً وهو يقول:

- عليات ابتي طلب يدها شاب من زملائها.

فأبىث في صدر الأستاذ اهتمام حقيقي وقال:

- مبارك يا عم عبده.

فقال برضاء وفي غير حماس:

- الستر مطلوب ولكن العريس - مثلها - لم يتوظف بعد!

- هكذا تجري الأمور في هذه الأيام.

- ولكنني رجل مثقل بالأعباء والابن الوحيد الذي أتم دراسته مجند في الجبهة كما تعلم.

فقال حسني حجازي بثقة:

- ابنته متعلمة وهي تدرك ذلك كله، وماذا يقال عن العريس؟

فقال الرجل بامتعاض:

- على الحديدة. حال أبيه كحالى، وهو كاتب في محل تجاري..

- جندة؟

- معفى لأنه وحيد أبويه.

ثم مستدركا:

- بقية ذريته بنات وإحداهن زميلة وصديقة حميمة لعليات.

وهنى الأستاذ ملياً بتدخين النargile ومضى يقول لنفسه إن النادل الطيب يعيش أيضاً في أسطورة، وإن الحقيقة خليقة بأن تصفعه، وإن أخلاقنا غير حقيقية وهي تقوم على الربح.

وقال لعم عبده:

- توجد فتيات ذكيات، يفضلن الاقتران بالكهول **الأغنياء** طلب
للاستقرار في الحياة..

فهز الرجل رأسه في حيرة وقال:

- لا أدرى.

- على أي حال فإن كريمتك ليست واحدة منها.

- ربنا معها.

فقال الأستاذ حسني وهو يداري بسمة ساخرة:

- آمين.

فقال عم عبده بدران بحماس طارئ:

- عليات فتاة عالية الهمة، سعت إلى الرزق حتى وهي طالبة، واكتسبت
نقوداً لا يأس بها من الترجمة فاستطاعت أن تظهر في الجامعة بالظهور
اللاقى الذي لم يكن في مقدوري توفيره لها..

- فتاة عالية الهمة حقا..

- ولكن هل ادخلت من النقود ما يكفي لتجهيز ولو حجرة واحدة؟

- هذه هي المسألة..

- أما هي فلا يهمها ذلك على الإطلاق..

فضحك حسني حجازي وقال:

- جيل يستحق التحية والإكبار.

وسرحت خواطره إلى شقته الأنique بشارع شريف فقال لنفسه بأن
الصراع الحقيقي في هذه الحياة هو ما يقوم بين الحقائق والأساطير.
وقال له عم عبده:

- سعادتك لم تفك في الزواج أبدا؟

- أبدا.

ثم أشار إليه بسبابته محدرا، وقال:

- ولم أندم على ذلك قط.

وتذكر كيف سأله صحفي في ريبورتاج عابر بالاستديو - ضمن
مجموعة من العاملين في فيلم - سأله عن فلسفته في الحياة، وكيف
بهت ولم يحر جوابا.

- ولكن فهو حقا بلا فلسفة؟!

٣

ثمينة جدا الساعات القلائل التي يقضيها إبراهيم عبده في القاهرة.
تابطت شقيقته عليات ذراعه وهو في بدلته العسكرية ومضيا يشقان

الطريق وسط خضم هائل من البشر تحت فيض متدفق من الأصوات.
وكان يشبهها لدرجة محسوسة، بعينيه العسليتين خاصة، ورغم ما بأنفه
من فطس خفيف وما في شفتيه من دسامنة، وما في بنائه من متنانة. وكان
يلتهم كل شيء بحواسه، ويتلقي سيراً متواصلاً من المشاعر، ويدخل
أحياناً في وجود غريب عابر بين الواقع والحلם، أو يتعدد مع خواطره
بين الواقع والحلם. وسألته أخته:

- كيف تجد الليلة صدمة الانتقال من باطن الأرض المزللة
بالانفجارات إلى دنيا القاهرة الشملة بالصلب؟

وكانت تستعيد كلماته القديمة بالحرف، ولكنه أجاب بلا اكتراث:
- أصبحت عادة.

- وامتعاضك العتيد؟

فأجاب بنفس اللهجة:
- أصبح عادة أيضاً.

ثم وهو يبتسم:

- الموت نفسه أصبح عادة يومية.

فسألته برقة وهي تتفادى من شاب ينطلق كالصاروخ:
- كيف تريد لنا أن نعيش؟

- لا أريد تغيير نظام الكون، أريد فقط أنأشعر بأنني مستقبل بين
أصدقائي استقبال العائد من جبهة مشتعلة في سبيل الدفاع عن الوطن.
فلاذت بالصمت فمضى وهو يقول:

- لا أعني تكريماً أو هتافاً. أطمع فقط في شيء من الاهتمام والجدية.

- ولكن لا حديث للناس إلا الحرب!
- .. دون المستوى المطلوب..
فقال بعد تردد:
- لهم بعض العذر!
اللعنـة.. مهما كان، مهما يكن، فالموت شيء حقيقي.. فضغطـت
على ذراعـه وقـالت:
- لا تسمـح لشيـء بأن يفسـد عليك ساعـة طـيبة..
- نتناول بعض الشـطـائـر ثم نذهب إلى السـينـما.
فلم يعارض ولكنه قال:
- غـريب أـنـي لم أـعـرف خطـيبـك مـرـزـوقـ من قـبـل..
- أـلا يـعـجبـك؟
- شـكـلـه لـطـيفـ ولكن أـخـته أـلـطـفـ!
فـنظرـت إـلـيـه باـهـتمـام وـهـمـا يـقـفـانـ في ظـلـ عندـ مـشـرـبـ قـهـوةـ عـلـىـ
الـناـصـيـةـ وـتـسـاءـلـتـ:
- سـنـيـةـ؟
- أـجـلـ، أـظـنـها صـدـيقـتـكـ؟
- جداـ، سـبـقـتـني بـعـامـ، وـهـيـ موـظـفـةـ بـالـإـصـلاحـ الزـرـاعـيـ. الـظـاهـرـ أـنـهـاـ
أـعـجبـتـكـ؟
فـقالـ بـيـقـينـ:
- جداـ..
فضـحـكـتـ عـلـيـاتـ وـتـسـاءـلـتـ:

- حب من أول نظرة؟

فقال ضاحكاً:

- أعتقد أنني نلت منها مائة نظرة..

- كل ذلك من وراء ظهورنا؟

- المهم..

ولما سكت تساءلت:

- المهم؟

- أهي لائقة كزوجة؟

- ما شروط اللياقة في نظرك؟

- نحن كما تعلمين أسرة محافظه!

- أتعرف بأنك متشعّج جداً بأبي.

- تهمني الأخلاق.

فلفته إلى إعلان سينمائي فاضح يوشك أن يكون مضاجعة، وقالت

محذرة:

- أخفض صوتك..

- أنت نفسك محافظة في الناحية الأخلاقية على الأقل..

-أشكر لك حسن ظنك..

- والآن خبريني؟

فقالت بضيق:

- ما أعرفه عنها يشهد بأنها ممتازة.

- لا أحب أن أقلق.

فضحكت، ولكنها قالت بعطف:

- لا يجوز أن يقلق جندي لأسباب تجبيه من المدينة!

وانطفأت الأنوار بغتة كأنما ماتت بسكتة فغرق الطريق في ظلام دامس. وهللت هنافات شابة مهرجة في عبث ومجون، وصر صرخات آلات التنبية بالسيارات. توترت أعصاب إبراهيم، واجتاح رأسه أصداء أوامر خطافة بالاستعداد والقبوع في المواقع، ولكن جاءه صوت عлиات ناعماً وهي تقول:

- تنطفئ الأنوار كثيراً لأسباب مجهولة.

فاسترد راحته، وقبض على يدها فتراجع بها حتى لامس ظهرهما جدار المشرب، وسألها:

- أيطول ذلك؟

- من دقيقة لساعة. وأنت وحظك!

وسرعان ما ألغفت عيناه الظلام فرجع يسألها:

- بم تنصحيوني؟

- ننتظر حتى يعود النور.

- أعني سنية!

فضحكت قائلة:

- سنية! تزوجها إن كنت تحبها..

- الحب ليس المشكلة!

فسألته ساخرة:

- بم تحكم عليك لو أخذنا بماضيك؟

- ليس الرجل كالمرأة!

فضربت الأرض بقدمها غيظاً ولكنها لم تنبس، فعاد يقول:

- لا تريدين أن تعطيني رأياً قاطعاً..

فقالت بحده:

- قلت إنها ممتازة فتزوجها إن كنت تحبها.

- سأقابلها صباح الغد.

فضحكت عليات وتساءلت:

- لماذا يطفئون الأنوار إذا كانت أمهر المؤامرات تدبر في

رابعة النهار؟!

٤

لم يكن الجو شديد الحرارة، ولكن أشعة الشمس تدفقت حامية لاسعة، وترامت تحت دفقاتها حدائق الأسماك عارية أو شبه عارية. وكان أول قادمين. تمشيا بلا هدف وإبراهيم يقول لنفسه: مثل آدم وحواء، مثل آدم وحواء قبل الخطيئة، وابتسم لخواطره وهو لا يدرى فضيبيت سنية ابتسامته وسألته بحياة:

- ترى ماذا يضحكك؟

فارتبك ثانياً، ولكنه قال:

- لأنني سعيد!

وبسط راحتيه لأشعة الشمس وقال:

- يوجد مجلس تحت الجبلية.

وذهبا صوب الجبلية تفعم أنفيهما رائحة نباتية تزفرها الأعشاب المخضلة برشاش الماء. وكانت متوسطة القامة أو دون ذلك بقليل فلم تتجاوز قمة رأسها الكستنائي منكبه، ولكنها كانت متناسقة التكوين وذات عينين خضراوين صافيتين. وجلسا متجلوارين فوق أريكة من جذع النخيل. قال:

- حضورك منه عظيمة.

فقالت ببساطة:

- لسنا غرباء فنحن أسرة واحدة.

وأضفى القبو على الجو قتامة، وجرت في ثناياه نسمة رطيبة كحال الأماكن التي لا تزورها الشمس. وكانت أعينهما تكلمت كثيراً أمس فلم يشعرا في جلستهما بغريبة مطلقة. ولاحظ أنها تنظر إلى بدلته العسكرية بحب استطلاع فسألها:

- ليس لك أهل مجندون؟

فهزت رأسها بالنفي، فقال:

- إنها لا تمنع من التفكير في المستقبل لأننا نعيش أبداً!

فقالت بعذوبة وحرارة:

- الأعمار بيد الله وحده.

فابتسم في تسلیم وارتیاح. وقال لنفسه: لا يمكن اقتحام الموضوع بلا تمہید، ولا یجوز - في ذات الوقت - أن یطول التمهید ما دامت فرصة اللقاء لن تتجدد قبل شهر كامل إن وجدت أصلاً! ولعلها حامت حول الأفکار نفسها، ولكنها وجدت مخرجاً فقالت:

- الحياة هناك شاقة بلا شك.

وامتن لسماع ملاحظتها التي لا يسمعها عادة بعيداً عن نطاق أسرته
قال:

- فوق ما تتصورين!

- وكيف تحملونها؟

قال بصدق:

- أصبحت أؤمن بأن الإنسان يستطيع أن يعيش في الجحيم نفسها
وأن يألفها في النهاية.

ثم نظر إليها باهتمام وقال:

- ولا يمنعه ذلك من التطلع إلى النعيم والسعادة.

فابتسمت، وتورد وجهها القمحي، وتبدت سعيدة، فقال لنفسه: إنها
ليست طفلاً ولا ممثلاً، ولكنها قوية الشخصية والأخلاق، وسألته:

- ترى هل تقوم الحرب من جديد؟

قال وكأنه لم يسمع سؤالها:

- علمت أنك غير مخطوبة!

- إذن فأنت تجري عن تحريرات!

- لنا صديق مشترك، عليهات..

- ولم تشغل بالك بما لا يهمك؟

- وهنأني على إعجابي بك.

- حقاً؟

قال بلهجة ذات مغزى:

- وتمت لي السعادة والتوفيق..

ومرت فترة صمت مفعمة بالرضا. واعتقد أنه اجتاز خطأ هاما، وأنه اجتاز بنجاح، وأنه لم يضع دقيقة من وقته الغالي سدى. وقررت هي التهرب من نظراته فسألته:

ـ لم تعجبني عن سؤال هل تقوم الحرب من جديد؟

فقال وهو نشوان بعواظفة:

ـ تحدثت عن أشياء يقينية مثل إعجابي بك.

ـ ولكنك لا تعرفعني شيئا..

ـ القلب يعرف أكثر مما يتصور العقل!

فغمغمت ولكنه لم يسمع فسأله:

ـ ماذا تقولين؟ أنت لم تتكلمي بعد!

فقالت ببساطة وصراحة وبنبرة غير ملعمته:

ـ أنا سعيدة!

فتجلت في عينيه نظرة ممتنة، وتناول يدها بين يديه بحرارة وقال:

ـ في المرة القادمة سنخطو خطوة حاسمة، وحتى يجيء ذلك الوقت سأحيا حياة غنية وجديدة رغم كل شيء..

ـ حفظك الله من كل شيء..

فقال بسرور:

ـ كسبت قلبا جديدا سيشعر بنا على نحو ما.

وتفكرت فيما يعنيه، وفقط هو إلى ما تفكر فيه فقال:

ـ يخيل إلي أن أحدا لا يشعر بنا سوى أهلنا!

فارتبكت، ثم قالت كالمعتذرة:

- إنها تجربة جديدة علينا، هذا هو الواقع، ولكن ماذا يجب أن يكون؟ ومن رأي الأستاذ حسني أنها سياسة مرسومة..

- من الأستاذ حسني؟

- موظف كبير في قسمنا بالمصلحة..

- وماذا يعني؟

- يعني أنهم لا يريدون تعبئة الشعب للحرب إلا قبيل دخول المعركة.

- الحق أني لا أفهم!

- ولا أنا، ولا يدعني أحد بأنه يفهم، هل ستقوم الحرب من جديد؟
- في الجهة نؤمن بذلك.

- هنا لا نكاد نصدق!

- كيف ترون الأمر؟

- ممكن أن تسمع كافة المتناقضات..
فضحلك إبراهيم وقال:

- إنكم تودون أن تجدوا النصر يوماً ضمن أخبار الصحف..

وضحكـتـ. وبالضـحـكـ أـفـلـتـاـ من حـصـارـ القـلـقـ فـعـادـاـ إـلـىـ موـعـدـهـماـ
تحـتـ الجـبـلـاـيـةـ. وـتـبـادـلـاـ نـظـرـةـ اـعـتـذـارـ طـوـيـلـةـ وـحنـونـةـ.

شاملة وإحساساً بالسيطرة على كل شيء. الدواوين والمقاعد تصلح للاضطجاع كما تصلح للجلوس. وأجهزة التسلية قائمة بالأركان وسط تهاويل الديكور. والتحف مصفوفة فوق الأرفف عارضة ألواناً من فنون اليابان وخان الخليلي. من أعماقه يشعر بأنها توثق علاقته بالدنيا وتدفع عنه غوايل الفناء. مضى إلى البار فملاً كأسين من الكوكتيل الذي يعده بيده بخبرة وأنة ثم رجع إلى وسط الحجرة فوضع كأساً فوق ذراع فوتيل على بعد قيراط من يد سنية. ولبث واقفاً ثم حرك كأسه قائلاً:

- في صحتك..

وأفرغ كأسه ثم قال:

- لم يعد غريباً على هذه الحجرة أن تشهد وداع الأحبة..

فقالت سنية:

- أنت رجل كريم، في الحياة والحب..

فقال متظاهراً بالاهتمام:

- من حسن الحظ أني حصلت أخيراً على فيلم ممتاز لا تقل مدة عرضه عن ربع ساعة..

فابتسمت سنية ولكن بلا حماس. وتذكرت كيف صرخت عند رؤية المشهد الأول من أول فيلم. كان ذلك منذ سنوات وكانت طالبة بالجامعة أو تلميذة بالثانوية. وكانت المفاجأة باللغة الإثارة والرعب.

وقال بأسف:

- عليات انتهت، خسارة فادحة..

- إنها مخطوبة وتستعد للحياة الزوجية، ماذا تتوقع؟

فقال في دعاية:

- لا بأس من إباحة اللهو حتى الزفاف..

فرمكته بعينيها الخضراوين وقالت بلهجه ذات معنى:

- فكرة الزواج تخنق المرأة من جديد..

- كم من متزوجات ...

فقطاعته:

- هذا موضوع آخر.

ثم وهي تضحك:

- ألا تريد للحب أن يحترم يوماً أو بعض يوم؟!

- حاولت إقناعها..

- أهي مهمة حقاً عندك؟

- العشرة عندي غالبة دائمًا..

فضحكت ساخرة هذه المرة وقالت:

- يخيل إليّ كثيراً أن جميع النساء اللاتي يمررن من شارع شريف
أنهن ذاهبات إلى شقتك أو راجعات منها..

فقهه حسني حجازي وقال:

- واحدة من تحدثها نفسها بالسخرية من هذه الشقة.

- أنت ترى أنني جئت بكل احترام لأودعها.

فهتف باسمها:

- حتى أنت يا سنية!

فقالت بسرور:

- جاء دوري يا قيس.

- حدثني عنه أبوه، إنه جندي، أليس كذلك؟

- بلـى.

- أقرأ في وجهك الرضا.

- شاب لطيف وجذاب.

- وهـكذا قررت هـجر العـش كـصـديـقـتك عـلـيـات!

- إـنـي أـحـبـ من يـرـغـبـ فـي الزـوـاجـ مـنـيـ!

وقـالـ لـنـفـسـهـ: إـنـ الـمـرـأـةـ مـثـالـ الـحـكـمـةـ وـإـنـا الـمـخـلـوقـ الـوـحـيدـ الـذـيـ
يـسـتـحقـ أـنـ يـعـبـدـ، وـلـكـنـهـ قـالـ لـهـاـ مـدـاعـبـاـ:

- إـذـنـ فـهـيـ الـمـصـلـحـةـ..

فـقـالـتـ بـعـجـلـةـ وـاهـتـمـامـ:

- لـقـدـ أـحـبـتـهـ، صـدـقـنـيـ..

- أـنـتـ مـصـدـقـةـ، وـلـكـنـيـ سـآـسـفـ كـثـيرـاـ الـغـيـابـكـ.

- لـنـ تـذـوقـ فـيـ هـذـهـ الشـقـةـ الـوـحـدةـ أـبـداـ..

- وـلـكـنـهاـ مـكـانـ عـبـرـ لـيـسـ إـلـاـ..

- إـنـهـ شـعـارـ يـصـلـحـ لـأـيـ مـكـانـ..

فـتـرـاجـعـ إـلـىـ الـكـنـبةـ الـاسـتـدـيـوـ ثـمـ جـلـسـ. أـغـمـضـ عـيـنـهـ قـلـيلـاـ، ثـمـ قـالـ:

- زـرـتـ الـعـجـبـهـ أـخـيـراـ ضـمـنـ وـفـدـ الـمـصـورـينـ السـيـنـمـائـيـنـ، وـالـتـقـطـتـ
صـورـ الـبـورـسـعـيدـ شـبـهـ الـخـالـيـةـ. هـلـ سـبـقـ لـكـ أـنـ شـاهـدـتـ مـدـيـنـةـ خـالـيـةـ؟ـ

- كـلاـ.

- كـالـحـلـمـ الـمـرـعـبـ!

- زـرـتـ بـورـسـعـيدـ يـوـمـاـ وـاحـدـاـ قـبـلـ الـحـربـ.

- أـمـاـ أـنـاـ فـعـشـتـ فـيـهاـ ثـلـاثـةـ أـسـابـعـ وـنـحـنـ نـصـورـ فـيـلـمـ «ـفـتـاةـ فـلـسـطـيـنـ»ـ
مـنـذـ أـعـوـامـ، وـهـيـ تـعـيـشـ وـتـنـاـمـ كـالـمـدـنـ، وـلـكـنـهاـ تـصـحـوـ فـيـ أـيـ سـاعـةـ مـنـ

الليل لدى وصول أي سفينة، وسرعان ما تخلق فيها الحياة بقوة وسرعة فتدب الحركة وتشع الأنوار وترتفع الحرارة، وفي الأماسي تتراءى من جنبات المبناه أغان شعبية غاية في الفتنة..

- ووجدتها شبه خالية؟

- ولم تمس بسوء بخلاف المدن الأخرى.

وصمت قليلا ثم ساءلت نفسها:

- ترى هل تقوم الحرب من جديد؟

فهز رأسه قائلا:

- لن يتهيأ ذلك في القريب، ولن يشجعنا أحد عليه، ولكن الصمود يوفر لنا أطيب شروط عقب هزيمة يونيو..

- الجنود يريدون الحرب..

- هذا طبيعي، وكذلك الجماهير، أما نحن فلا ندرى ماذَا نريد..
وتأنوه قائلا:

- آه يا وطني العزيز!

فقالت بمرارة:

- أما نحن فكفرنا بكل شيء..

- أتتم أبناء الشورة وعليكم أن تحلوا مشاكلكم معها..
ثم سألها مغيرا نبرته:

- كأس أخرى؟

فهزت رأسها نفيا فقال:

- قلت إني حصلت على فيلم ممتاز!

فتساءلت ضاحكة:

- أتذكر فيلم القسيس وبائعة الخبر؟

- هذا عن المرأةين ورجل، ثم ينقض عليهم رجل غريب جديد!
فسألته:

- لم لا تتزوج قبل أن يفوتوك القطار؟

- ولكنه فاتني يا عزيزتي.

- توجد زوجة مناسبة دائماً..

- تكلمي بخير وإلا فاسكتي..

فسألته بجرأة:

- هل تحترم حياتك؟

- لم أفك في تقييمها بعد!

فقالت بامتعاض:

- ما يؤلمني أحياناً أنتي سلمت ابتناء شراء أشياء، وإن تكن ضرورية..

فقال لها بعطف:

- المجتمع يقوم على الأخذ والعطاء فلا تتألمي..

فضربت الأرض بقدمها الصغيرة وتساءلت:

- متى نرى الفيلم الجديد؟!

عند الباب، أما عبده بدران فجلس على مبعدة يسيرة من حسني حجازي متحفزاً للحديث أو لتقديم أي خدمة. وتساءل حسني حجازي في نفسه: كيف يواجه رجل مثل عبده بدران أعباء الحياة الفاحشة الغلاء بأسرته الكبيرة؟ كيف توازن ميزانيته المحدودة ولو اقتصر الطعام على الخبز، والكماء على مخلفات سوق الكانتو، والمسكن على بدرورم؟ وأولاده مع ذلك تلاميذ في المدارس، واثنان منهم - إبراهيم وعليات - أتما تعليمهما الجامعي، فأي معجزة تمارس في غفلة من المؤمنين؟! وقال: إن ما ينفقه في ليلة يكفي لإعالة أسرة بضعة شهور، ومع ذلك فهو لا يخلو من تذمر، وإذا من شهراً دون عمل في فيلم طويل أو قصير تولاهم القلق فماذا يكمن وراء نظرة عم بدران الثقيلة الهدائة؟! وأقنعته عليات بأنها تحافظ على المظهر اللائق بفتاة جامعية بفضل النقود التي تربحها من الترجمة فصدق الرجل الطيب، ولم يخطر بباله أن نقوده هو ضمن النقود التي تسهم في تربية كريمه، آه! يوم عرف عليات عرف أنها كريمة عم عبده بدران، وداخله قلق، وشيء من مناقشة الضمير، ولكنه قتل وساوسه بعقله البارد. وقال: إنه لا يؤمن بذلك كله. ولم يتزعزع احترامه لعليات وقال عليهم اللعنة فهم يقبلون الضيم والظلم والاستعباد وينقلبون أسوداً فاتكة في وجه الحب واللهو.

وهم أن يسأل عم عبده كيف يواجه الحياة، ولكنه سرعان ما أقلع عن فكرته خشية أن يفسد عليه هدوء جلسة نصف الليل أو أن يشجعه سؤاله على استجداء مساعدة أو طلب سلفة. ولما طال صمت الأستاذ قال عم عبده بدران:

- تمت خطبة إبراهيم وسنية أخت مرزوق.

علم بذلك في حينه فأتحف العروس بهبة مالية كما أتحف عليات من قبل. ولكنه قال:

- ليحفظ الله العريس ويسعد العروس.
- ناس طيبون وعلى قد حالهم مثلنا وهي موظفة بالإصلاح الزراعي!
- فجاء صوت عشماوي من عند الباب قائلاً:
- لا تعجبني المرأة الموظفة!
- فقال له عم عبله بدران:
- جميع بنات درب الحلة تلميذات والكبار منهن موظفات..
- فقال العجوز بسخرية:
- ولو!
- لو كانت لك بنت لتغير رأيك..
- فقال بفخار:
- أنجبتي أربعة كلهم ذكور..
- ولكن حسني حجازي يسمع لأول مرة عن أبناء عشماوي فسأله:
- ماذا يعملون يا عشماوي؟
- اثنان بين الخمسين والستين في المذبح..
- ثم بفتور:
- الثالث قُتل تحت الترام، والرابع في السجن!
- وصمتوا دقيقة إعراباً عن التأثر والتأمل، ثم سأل الأستاذ حسني عم عبله.
- وهل يتزوج إبراهيم في أول فرصة أو يؤجل ذلك لوقت السلم؟
- هذا شأنه، أنا أتمنى أن يتزوجاليوم قبل الغد، ولكن متى تنتهي الحرب؟

- من يدرى يا عم عبده..
- حقاً من يدرى، إنهم يعانون معاناة الأبطال..
- هذا حق.
- ومع ذلك فلا يهتم بهم أحد..
- كلا، ليس هذا صحيحاً، المسألة أن الناس لم يتخلصوا بعد من مرارة الهزيمة..
- وجذب حديث الحرب عشماوي من الخارج إلى الداخل فجاء بهيكله الضخم وهو يقول:
- ولكن الله سينصرنا في النهاية..
- فقال حسني حجازي:
- قل إن شاء الله.
- فقال عشماوي:
- كل شيء بمشيئة، لا بد أن نهزمنهم وإنما فقل على الدنيا السلام.
- فسألته حسني:
- وإذا انتهى الموقف بحل سلمي؟
- فهتف العجوز الأعمش:
- أعود بالله.
- وأراد أن يدلل على قدرة الله فقال:
- ربكم كبير، أتصدق أنني ضاجعت الولية ليلة أمس مرتين؟
- فذهل الأستاذ حسني وهتف:
- مرتين؟!

- وحق كتاب الله!

- عوفيت.. عوفيت يا عشماوي..

- فلا تتأسوا من رحمة الله..

ووضح حسني عاليا، ونظر صوب عبده بدران فأحنى رأسه مصدقا!
وعاد عشماوي يقول:

- لم حصل ما حصل؟ لأننا خسرنا الدين والأخلاق!

وقال حسني لنفسه: ولكن ما الأخلاق؟ أزتمتكم الحقيقة أنكم في
حاجة إلى أخلاق جديدة!

▼

اكتظت ناصية الأميركيين فلا موضع لقدم. تلاصق الشبان تحت
الأضواء وانحصر المارة بين الأجسام الحارة الفتية. وقل الكلام أو انعدم
وحملقت الأعين وتحركت بعض السيقان بالرقص الخفيف. وثار سالك
بحريمه في عباب الزحام غضبا لكرامته الشخصية فيما بدا وصاح:

- اخجلوا من أنفسكم، واذهبوا إلى الجبهة إن كنتم رجالا..

ولم يخجل أحد فيما بدا أيضا. وتساءل صوت:

- لم يريد أن يرسلنا إلى الجبهة قبل الأوان؟

وقال صوت آخر ساخرا:

- لعله يظن أنهم يرسلون النساء والكهول!

وشجعت شلة من وقوتها فانسحبت من معسكرها ومضت إلى «جينيفا»

فتجمعوا حول بعض زجاجات من البيرة. وجعلوا يشربون ويتكلمون كما يحلو لهم، وغالباً بلا ضابط ولا نظام، غير أن مرزوق أنور تولى مهمة ملء الأقداح وتوزيعها.

- مشكلة الجنس في ...

قاطعه:

- في الجبهة مشكلة أهم.

- إنما أتكلم عن المشكلات الداخلية.

- دعه يتكلم، المقاطعة ممنوعة.

- حدثني أحد الكبار فقال إنه كان يوجد على أيامهم بغاء رسمي.

- زماننا أفضل فالجنس فيه كالهواء والماء!

- الماء لا يصل إلى الأدوار العليا.

- ولكنه يصل إلى الأدوار السفلية!

- ليس كالهواء والماء فالبنات تعلمون الاستغلال.

- إنها ضرورات العصر.

- البراءة تنهزم أمام السيارة مثلاً.

- توجد دائماً فرص طيبة.

- كما توجد الباقيات.

- وحفلات الساعة الثالثة في السينما.

- لا أهمية لذلك، المهم هل الله موجود؟!

- ولمَ تريِد أن تعرف؟

- كان شغلنا الشاغل الوحيدة العربية والوحدة الإفريقية.

- وما دخل ذلك في وجود الله؟
- أصبح شغلنا الشاغل متى؟ وكيف نزيل آثار العدوان؟
- معي دقيقة واحدة، أهو موجود؟
- كانت أياماً مجيدة.
- كانت حلماً.
- بل كانت وهمـاً.
- ويضيقون بوقوفنا دقائق في الناصية!
- الكلاب!
- إذا قدر لليهود أن يخرجوـا فمن سيخرـجـهمـ غيرـناـ؟
- من يقتل كل يومـ غيرـناـ؟
- ومن قتل عامـ ١٩٥٦ـ؟ من قـتـلـ فيـ الـيـمـنـ؟ من قـتـلـ عـامـ ١٩٦٧ـ؟
- يظنـ العـجـوزـ أنـ المـحـافـظـةـ عـلـىـ بـنـتـ نـصـفـ عـارـيـةـ هـيـ كـلـ شـيـءـ..
- عليناـ أنـ نـبـدـأـ مـنـ الصـفـرـ..
- أنـ تـزـاحـ عـنـ صـدـورـنـاـ الـكـوـاـيـسـ.
- لاـ أحدـ يـرـيدـ أنـ يـجـيـبـنـيـ، أـهـوـ مـوـجـودـ؟
- طـيـبـ ياـ أـخـيـ، إـذـاـ حـكـمـنـاـ بـالـفـوـضـيـ الضـارـبـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ فـلاـ يـجـوزـ
أنـ يـوـجـدـ!
- أـلـيـسـ مـنـ الـعـاجـزـ أـنـ يـمـلـكـ وـلـاـ يـحـكـمـ؟
- يـكـفيـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـصـرـيـوـنـ مـنـ عـبـادـهـ لـكـيـ يـمـلـكـ وـيـحـكـمـ!
- أـلـأـنـتـ شـارـعـ فـيـ الزـوـاجـ حـقـاـ؟

- نعم. خذ قدحك..

- لماذا؟

- لأنني أحب.

- وما العلاقة بين هذا وذاك؟

- يجب أن نفعل شيئاً على أي حال.

- بماذا نفسر تفشي الزواج المبكر بين الشبان؟

- بالفقر!

- بالموت!

- بنظام الحكم!

- سنضطر إلى الوقوف غداً من شدة الزحام.

- أليس من الأفضل أن نهاجر بدلاً من أن نتزوج؟

- الزواج هجرة داخلية.

- الحق أنه يلزمنا شيء من انتهازية الأجيال السابقة.

- لا غنى عنها في الزحام.

- إذن فلماذا يخشى العالم الحرب؟

- ليست الحرب بأفظع ما يتهدد العالم.

- أيوجد ما هو أفظع؟

- الفرد غير آمن تماماً بين أهله، والأسرة تخشى الجيران، والوطن مهدد من أوطان شتى، والعالم يحيط به عالم خفي من الكائنات الضارة، والأرض قد يخربها خلل بالمجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية قد تنفجر وتخفي في ثوان.

- أنت مجنون!

- ولكن علينا أن نضحك وألا نسمح لشيء بأن يفسد علينا حياتنا
الغالبة..

- أمين.

- أمين.

- أمين.

∧

ارتسمت في وجه عشماوي صورة غير عادية. انغرست في أساريره غبطة كالحة فولاذية انداحت فوق جفاف الشيخوخة وبروز الفكين وتهدل اللحىين. وعندما استقبل الأستاذ حسني حجازي لم ينجل شعاع واحد للشاشة في وجهه حتى توجس الأستاذ خيفة مجهولة فقال - وهو يتلذذ بجلسه - لعم عبده بدران:

- خير إن شاء الله؟

وسمعه عشماوي فأقبل نحوه حتى وقف أمامه وتدفق قائلًا:

- إني أعن كل شيء، وألعن فوق كل شيء نفسي، إني ثائر على ضعفي وعجزي واندحاري في صندوق القمامنة بلا حول، ومن أنا؟! أنا عشماوي الخشن، صاحب القبضة الحديدية والنبوت المخضب بالدماء، أنا من يرتجف عند ذكر اسمه الرجال وتتوارى النساء ويستعيد بالله منه رجال الشرطة، أنا المجرم الجبار الفتاك الطاغية السفاك التمرود الشيطان..

واختنق بأنفاسه فقال حسني حجازي بلين ودعاية:

- وكيف تشكوا الضعف وأنت ذلك كله؟!

- إني أحكي عن الماضي، عن الماضي أحكي لا الحاضر، افهمني يا أستاذ، كنت رجل درب الحلة وحاميها، وكان الويل نصيب من يتعرض لأحد من أهلها بسوء، بفضلي نعموا بالسلام والأمان. بفضلي بعوا على الخلق وهم في أمن من العواقب، كان اسمى قانونا وسيفا ونعمه وغنى وفقرا، ماذا جرى يوم اعتدى نذل من القبيسي على رجل من حارتنا؟ هجمت على الحي كالقضاء والقدر، لم أفرق بين متهم وبريء، تهاوت الضربات على رءوس المارة، حطمت الدكاكين، احترقت عربات اليد، انهمرت الأحجار على التوافد والأبواب، وسأل عنني أيام سعد، ولا تسأل عن عدد ضحاياي، وقد عرفت بشارب الدماء منذ ذبحت إنجليزيا وشربت دمه المسقوح، هذا هو عشماوي الخشن!

قال حسني حجازي وهو يلعن في سره:

- تاريخك معروف يا عشماوي ولكن لم أنت غايب؟!

ولكن العجوز لم يجب. ورجع إلى مجلسه عند الباب وغرق مرة أخرى في الحزن والصمت. ونظر حسني حجازي إلى عم عبده بدران في فضول، فقال عم عبده بدران بإشفاق بلغ حد الخوف:

- أصيبي شابان من أهل درب الحلة.

قال حسني باستنكار:

- ظنت أن أيام الفتونة والمعارك قد انتهت إلى غير رجعة.

قال عبده بدران بوجه شاحب:

- أصيبيا في الجبهة!

فوجم حسني حجازي، ثم تفكر في الكلمة المناسبة يقولها، ولكن عشماوي سبقه صائحاً:

- قصدتني جدة أحدهما مستغثة بي كال أيام الخالية، ظنت الولية أن عشماوي ما زال كعهده القديم يستغاث به فيغيث!

فقال حسني حجازي:

- إنهم بطلان يا عشماوي..

فقال الرجل بحنق.

- أنت لم ترهما ولم تر العبر..

- زرتهم في المستشفى؟

- زرتهما، رأيت وسمعت وشعرت بعجزي فلمنت كل شيء كما لعنت نفسي.

فقال حسني بروح عالية وهو يقصد أولاً عم عبده بدران:

- هما بطلاً، وهكذا الحرب في كل زمان ومكان.

فصاح عشماوي:

- إني أعن العجز ..

— سلیمة سلیمة پاًذن الله.

وقال عم عبده بدران ليجدد مخاوفه الشخصية بدعابة:

— وأنت يا عشماوى ألا تطالب دائمًا بالحرب والنصر؟

فتحول غضبه إلى حزن وهو يردد:

- الحرب والنصر ولكنني عجوز لا خير فيه!

- حسيبك أنك شربت من دم الإنجليز في شبابك!

ثم نظر عبده بدران إلى الأستاذ حسني وقال:
- في الثورة الأولى كنت دون السن الالزمة للمجاهد واليوم أنا فوق
السن المناسب للحرب فلم أفعل شيئاً يذكر للوطن..
- ولكن ابنك في الجبهة، خبرني هل يؤلمك تصورك أنك لم
تفعل شيئاً؟

- أحياناً ولكن أعباء الحياة تغرنني حتى القمة!
وتذكر حسني أنه ذو موقف مماثل، وأنه كان يحاسب نفسه في أزمات
تلعبه، وأنه كان يطفع سعاراتها ببرودة العقل الخالدة، وأنه أوشك أن يقنع
نفسه بأنه يفتح شقته للأفراح البريئة والخير! وسأله عبده بدران:

- على أي وجه سيعتبر الموقف يا أستاذ؟

فضحك حسني عالياً وقال:

- السؤال الخالد! ماذا يمكن أن يقال؟ فلمنتظر..

- ولكن الموت لا يتضرر.

- إنه سباق ونحن لا نموت وحدنا!

وعند ذلك تسأله عشماوي:

- وهل أولاد الأغنياء يقتلون أيضاً؟

فلم يتمالك حسني نفسه من الضحك وقال:

- ولكن التجنيد لا يفرق بين غني وفقير يا عشماوي..

فهز رأسه في ارتياح وعاد يسأل:

- وهل يرسلونهم حقاً إلى الجبهة؟ قلبي يحذثني بغير ذلك!

- لا تصدق قلبك يا عشماوي.

وعكف على النارجيلة. وقال لنفسه: إن جلسة الليلة خسرت هدوءها العتيق، وإن الحزن فيها امترج بالضحك، وإن الهزيمة مرأة وعواقبها تنتقل من مركز إلى مركز في المخ ولكنها لن تمحي، وإن جبلًا شامخاً انهار، وتبدل حلم عجيب، وإن خير ما يريح به نفسه أن يترك الأمانة لحامليها. وسائل نفسه وهو ينفث الدخان من فيه وأنفه: أين يجد مكاناً لا يتعدد فيه ذكر الحرب؟!

٩

جمعت الشرفة المطلة على النيل الصديقات الثلاث: علیات عبدة وسنية أنور ومني زهران. وكان الخريف يبيت في الجو ببرودة لطيفة ويزين سماء الأصيل بسحب ناصعة البياض. وقد لبّت علیات وسنية دعوة عاجلة إلى مسكن مني بالمنيل فتوقعوا أخباراً جديدة وسعيدة. وهن صديقات حميمات منذ الدراسة الثانوية، وتمتاز مني بجمال رائق يتمثل في بشرتها الضاربة للبياض وعينيها السوداويين الجذابتين وقامتها الرشيقه المائلة للطول، كما تمتاز بأسرتها المتوسطة ذات الدخل الموفور - الأب مدير إدارة قانونية والأم ناظرة مدرسة متقدمة باختيارها - فضلاً عن أنها موظفة بالسياحة منذ عام. وكان لها شقيقان أحدهما مهندس في بعثة بالاتحاد السوفيتي والآخر طبيب بالمنوفية ويتوّقع اختياره في بعثة قرية، ولذلك كانت طموحة تداعبها الأحلام ولا تستقر. وكان مسكن مني يذكر علیات وسنية بمسكن الأستاذ حسني حجازي رغم الفارق المحسوس بينهما، ولكن الحسد لم يتسلل إلى نفسيهما بفضل العلاقة الحميمة الحارة. وقد توقّعاً أخباراً جديدة وسعيدة، ولكن مني قالت باقتضاب مثير:

- فسخت خطوبتي قبل أن تعلن!

انزعجت الفتاتان حقا، وقالت عليهات:

- غير معقول!

وقالت سنية:

- أي خبر!

وكانت مني قد قدمت لهم -منذ شهر - في دار الشاي الهندي شابا يدعى سالم علي، قاض بمجلس الدولة، باعتباره الصديق والخطيب المتظر. ولذلك توقعتا من وراء الدعوة العاجلة أخبارا جديدة سعيدة لا هذا الخبر الأسف. وقالت سنية وهي تهز رأسها هزة ذات معنى:

- وطبعا كنت أنت البدائة؟!

فقالت مني بتحدى:

- ظنك صادق دائما معي !

- ولكنه شاب جذاب ذو مركز يا مني؟

وقالت عليهات:

- وكان واضحأ أنه يحبك وأنك تبادلنيه الحب؟

عند ذلك تململت من الضيق وربما من عاطفة لم تستطع بعد أن تقتلعها من أعماقها، فثبت لها أنها دعّتها لحاجتها إلى الأنس والعزاء، ولكنها قالت بنبرة لم تخل من حدة:

- عرفت عن يقين أنه يقوم بتحريرات عنـي !

وساد الصمت حتى قالت سنية:

- أهذا ما أخذته عليه؟

- وهو كافٌ فوق الكفاية.

قالت عليهات:

-أراهن على أنه فعل ما فعل بحسن نية!

- أنا لا أتهمه بسوء النية ولكن بسوء العقلية أتهمه..

ثم مستدركة بانفعال شديد:

- ولم أتردد فواجهته بالتهمة، تلعمت وحاول أن يفسر سلوكه بغير
بوعاشه الحقيقية، ولكنني رفضت تفسيره وطالبته باحترام نفسه فاعترف
واعتذر بسخافات لا أذكرها ولا أحب أن أذكرها فلم أقبل عذرها، وقلت
له: ولم لا تسعى إلى الزواج عن طريق خاطبة؟ وسألته عما يريد معرفته
عني أكثر مما يعرف أو مما يمكن أن يعرف بالاتصال المباشر وبالحب
المزعوم قال: إنه بريء وإنه يحبني، وإن سمعتني نقية مثل الورد فضحت
ساخرة وقلت له: إنني أحقر تحرياته وأحقر النتائج التي وصل إليها وإنه
خدع أو إنه لم يحسن التحري. وقلت له: ماضي ملكي وحدي كما أن
ماضيه ملكه وحده وإنني أرفض كافة أنواع العبودية في أي زيجتي
وبأي اسم تحلت، وأنه لا يصلح لي كما لا يصلح له..

و سكتت وهي تلهث والغضب يرتعش في شفتيها ويدلهم في عينيها.
وبدا أن صديقتها لا تؤيدانها في موقفها وإن شاركتها في الإحساس
والرؤى. تسألت عليهات:

- ألم تبالغ يا مني؟

وقالت سنية:

- هی تقالید بلا دنا!

فهزت مني رأسها بعناد وقالت:

-إنني أرفض ذلك كله..

فقالت سنية:

- إنهم معقدون ويحتاجون إلى ترويض طويل.

وقالت علبات وكأنما تتم الكلام:

- لا إلى التحدي..

فقالت مني بعجرفة:

- أفضل أن أبقى بلا زواج إذا كان الثمن كذبة سخيفة وجراحة

دنية!

فقالت علبات:

- ولكن ظروفنا حرجة كما تعلمين..

- لا يمكن أن أتهاون في مبادئي وأخلاقي.

أجل فهي معروفة بأخلاقياتها. وهي لم تمارس الجنس إلا بداع من الحب، ولم تضطر - مثلهما - إلى ممارسته في أحياناً كثيرة لاقتناء ما يحتاجان إليه من ملابس وأدوات زينة وكتب. ولعلها كانت تحتقر سلوكهما وإن عطفت عليه من أعماق قلبها المحب. وقد تابعت خطوات خطوبتهما وما اقتضته من شهادات الزور والأكاذيب وغير ذلك، ولم ترتح لشيء منه وإن تعزت بأن جميع تلك السخافات إنما ارتكبت باسم حب حقيقي. وكانت محاولة إثنائهما عن موقفها ميؤوس منها لما تعرفان من عنادها وكبرياتها ومثالياتها، فسلمتا بالواقع في حزن وكآبة. وقالت لها علبات:

- أنت يا مني جميلة وممتازة وجديرة حقاً بزواج سعيد!

فسألتها مني:

- ترى هل تطمئنان إلى مستقبلكمما القائم على كذبة كبيرة؟

فقالت سنية:

- إنه يقوم على الحب.

أما عليات فقالت بقلق:

- إن رجلا مثل حسني حجازي خلائق بصون سرنا.

فقالت مني:

- حسني حجازي لا تتوقع منه الخيانة.

فعادت عليات تقول:

- أحياناً أتذكر المصادرات المرعبة التي تقلب الأمور في السينما!

فقالت سنية بقوة متحدية:

- لم يكن في وسعنا أن نفعل خلاف ما فعلنا وعلينا أن نواجه مصيرنا.

وفجرت الزيارة في نفس عليات وسنية دوامت من القلق، ولكن استقر في أعماقهما في النهاية قول سنية: «علينا أن نواجه مصيرنا».

١٠

لم تسعد مني بانتصار كبرياتها. أو لم تسعد كما قدرت. وفي أوقات انفرادها بنفسها غزتها الكآبة كالغبار. خافت أن ترتكب حماقات بلا نهاية. اعترفت لنفسها المتمردة بأنها ما زالت تحب سالم رغم حماقته وسخافاته. أدركت أنها تقف حيال مشكلة وأن المشكلة تتطلب على أي حال حلا. وجاء شقيقها الدكتور علي زهران إلى القاهرة في

إجازة فسرت بحضوره وقصت عليه تجربتها الفاشلة. وأسف الرجل ولكنك كان مستغرقاً بهموم طارئة فقال لها:

- إني أفكر في الهجرة!

فدهشت مني وتممت:

- الهجرة؟!

- الحق أني جاوزت مرحلة التفكير فاستقررأني على الهجرة.

- ولكنك تنتظر فيما أعلم بعثة علمية؟

- لم ألق إلا المماطلة، ففكرت في الهجرة ثم استقررأني عليها.

- وكيف يتم لك ذلك يا أخي؟

- إني على وشك الانتهاء من بحثي عن الطفيليات وسوف أرسله إلى زميل مهاجر بالولايات المتحدة ليعرضه على الجامعات وبعض المراكز الطبية ومن ثم أنتظر أن أدعى للعمل في إحداها، وهو ما حصل معه بالضبط..

فشهقت بقوة من شدة الانفعال وقالت:

- أهاجر معك!

ثم بثقة:

- إني متخصصة في الإحصاء وأتقن الإنجليزية.

فابتسم الدكتور وقال:

- لشن نهاجر اثنين خير من أن أهاجر وحدى..

وعارض الوالدان الفكرة، ولم يدركا لها حكمة ما دام للشقيقين مستقبل مرموق في مصر، فقال الدكتور لوالديه:

- البلد بات مقرفا.

وقالت مني:

- وهو لا يطاق.

وأراد الأب أن يستثير عاطفتهما الوطنية، ولكن الدكتور علي قال بجرأة عدتها الأب قاسية:

- لم يعد الوطن أرضاً وحدوداً جغرافية، ولكنه وطن الفكر والروح!

وتآلماً الأب الذي يتسبّب إلى جيل ١٩١٩، جيل الوطنية المصرية الخالصة، واستمع إلى ابنه باززعاج فخيل إليه أنه يطالع ظاهرة غريبة تستعصي على الإدراك والتفسير. وكان يسلم بأنه لا يستطيع أن يثنىهما عن عزم إن اعترضاه فتساءل في جزء: كيف يمكن أن يتحمل الحياة بدون وجودهما معه في وطن واحد على الأقل؟ وكانت مني تحب أباها كثيراً، ولكنها لا تكاد تتفق معه في رأي، وعجبت كيف أن هزيمة ٥ يونيو فجرت وطنيته من جديد فعادت سيرتها الأولى على حين أنها منيت بخيبة شاملة تدفعها باستمرار إلى تغيير جلدتها خلية خلية. وهو ما حصل لعليات وسنية وغيرها مما حصل لشقيقها. وقالت مخاطبة الدكتور:

- إننا نحيا بلا هدف!

فقال لها بامتعاض:

- وأنا أحيا بلا حياة..

- يجب أن نهاجر.

- سنهاجر عند أول فرصة.

واعتبرت مني نفسها سائحة عابرة فشعرت براحة نفسية لم تشعر بها منذ قطعت علاقتها بسالم علي. وسرعان ما ذاع الخبر بين صديقاتها

وزميلاتها وفي الأوساط التي تتقلل فيها. وراحت تحلم بحياة جديدة نقية توفر للفرد سبل التقدم والازدهار والأمن. وكانت عائدة من مكتبها عصراً عندما وجدت أمامها سالم علي في ميدان طلعت حرب. لم تكن مصادفة، ولم يحاول ادعاء ذلك، ولكنها مد لها يده وهو يقول:

- علمت أنك ستهاجرين إلى الولايات المتحدة فعز علىي ألا أودعك..

فاصافحته ببرود أخفت به انفعالها وقالت:

- أشكرك.

ومضت في سيرها فسار إلى جانبها فرمقه باحتجاج، ولكنها تجاهلها فعادت تقول:

- قلت أشكرك!

فقال بهدوء:

- ولكنني لن أتركك.

فسألته بالبرود نفسه:

- لماذا؟

فقال وكأنه يعترف:

- وضح لي أنني أحبك وأنني لم أستطع الإفلاع عن الحب.

ووجدت أنها سعيدة لدرجة فاضحة فغضبت بصرها وهي تقول:

- ولكنني وفقت في ذلك..

- إذن فلنذهب إلى دار الشاي الهندي.

وسارا جنباً لجنب وقد انقلب أحلامها رأساً على عقب، فقال وهو ينتهد في ارتياح:

- الحب أهم شيء في الدنيا!
ثم بارتياح أعمق وشى بما عاناه من عذاب:
- أي والله، الحب أهم شيء في الدنيا، وكل ما عداه باطل..
ونظر إليها متسائلاً:
- هل ستهاجرون حقا؟
فأجابت بفتور:
- نعم..
- ليتنى أستطيع الهجرة أيضا.
فسألته باسمة:
- وماذا يمنعك؟
- تخصصي لا يؤهلني لها.
ثم وهو يضحك:
- لا مفر من البقاء في مصحة الأمراض العقلية.

١١

في قرار واحد أصبح مرزوق أنور وخطيبته عليات عبده موظفين في الحكومة. تعيينت هي في وزارة الشئون الاجتماعية. أما هو فتعين في المنطقة التعليمية ببني سويف. تقدرت فرحة التعيين وأطل شبح الفراق على الحبيبين وتساءلاً: كيف يجتمع شمل عروسين واحدة في القاهرة والآخر في بني سويف؟ وذهب مرزوق إلى محطة مصر فصحبه أبوه

وعليات، وجلسوا حول مائدة في البو فيه حتى يأذف ميعاد قيام قطار الصعيد. كان الأب في الستين ولكنه بدا أكبر من عمره بعشرة أعوام على الأقل، وكان ممن يأخذون الأمور بتسليم وبساطة، كما كان يعتبر ابنه من «المفقودين» على أي حال سواء أبقي في القاهرة أم رحل إلى أسوان. لذلك شجعه طيلة الوقت، وضرب له مثلاً بحياته هو في الثلاثينيات - سنوات الأزمة الاقتصادية - عندما تقاذفه بلدان القطر والإفلات يطارد التجار ويصفي المعال التجاريه واحداً بعد آخر. ومالت عليات نحوه وسألته همساً:

- أتعرف ذلك الرجل الذي يجلس أمامنا؟

فنظر نحو الأمام فرأى رجلاً جالساً، يدخن غليوناً، ويتفحصه بنظر ثاقب غير هياب فقال على الفور:

- كلام.

لم يكن يعرفه ولكن خيل إليه أنه لا يراه لأول مرة، فمتى رأى هذا الوجه شبه المربع الريان، وهاتين العينين البراقتين، وهذين الحاجبين الكثيفين، وهذا الرأس القوي الأصلع؟

وهمست عليات مرة أخرى:

- إنه لم يحول عنك عينيه طوال الوقت.

ولا بد أنه يريد أن يحولهما عنه بعد أن تنبه إلى نظراته. ولم يقنع بذلك فقام بهدوء وتقدم خطوات ثم وقف أمامهم، وأحنى رأسه تحية وقال يقدم نفسه:

- محمد رشوان... مخرج سينمائي.

فقام مرزوق أنور بدوره، وأحنى رأسه وقال:

- مرزوق أنور.. موظف. تشرفنا يا فندم.

فأسأله وهو يواصل فحصه:

- أليس لك تجربة سابقة في فن التمثيل؟

فأجاب مرزوق بدهشة:

- كلا!

- ألا تحب أن تجرب نفسك؟

فضحك مرزوق رغم توتر أعصابه وقال:

- لم يخطر لي ذلك ببال.

فقال وهو يهز رأسه هزة خبيثة:

- عندي لك دور بطوله..

فهتف مرزوق في ذهول:

- بطولة!

- كنت مشغول البال بحثا عن يلعنه فلما وقعت عليك عيناي وجدت

ضالتي مائلة أمامي، فما رأيك؟

فقال مرزوق بصوت متهدج:

- أمهلني قليلاً.

وقال الأب:

- إنه في طريقه لتسليم وظيفته الجديدة!

وسأله عليات:

- هل يضمن بهذا الدور عملا ثابتا؟

فقال محمد رشوان:

- عندي له أكثر من دور بطولة وأنا أتبأ له بالنجاح..

فقالت عليهات:

- ولكنه لم يسبق له أن مارس التمثيل..

- هذا أفضل، سيخرج من تحت يدي كالجنيه الذهبي!

وكان رأس مرزوق قد دار وتمل فقال متخدًا قراره:

- موافق..

فقال له أبوه:

- فكر قليلا يا بني.

ول لكنه قال بإصرار:

- موافق وسأجرب حظي..

وأعطاه محمد رشوان بطاقته وهو يقول:

- تقابلني غدا في هذا العنوان في العاشرة صباحا، عندك تليفون؟

فهز مرزوق رأسه نفيا فقال:

- ودورك جديد في الواقع، دور شاب جامعي مجند، يزور القاهرة في إجازة قصيرة فتقع له أحداث هامة، وتحبه سيدة مجهولة الجنسية وتدعوه للهرب معها.

فتسائل مرزوق:

- وهل يهرب معها؟

- هذا ما سيجيب عنه الفيلم، والمهم أن تبقى الحال على ما هي عليه حتى يعرض الفيلم..

- أي حال تقصد؟

- أقصد الموقف في الجبهة..

فسؤاله الأب:

- وهل تتوقع أن يتغير الموقف قبل ذلك؟

- المتوج يؤكد أن الموقف سيبقى على ما هو عليه أعواما، أما...

فتساءل مرزوق:

- أما؟

فضحك محمد رشوان وقال:

- أما إذا انهزمنا مرة أخرى أو حتى إذا انتصرنا فستكون العواقب

وخيمة على الفيلم وصاحبها!

١٢

التقى مرزوق بالسيدة المجهولة الجنسية. كانت تطارده وهو لا يدرى ولكنها ظهرت بالبرود وسألته سؤالاً عابراً.. وأجابها بأدب وبلا اهتمام أولاً، ثم جذبه بعنة جمالها المضيء فصعق تماماً. وكان يرتدي بدله العسكرية وتتجلى البراءة في عينيه.

ووقف وراء الكاميرا ضمن نفر من الراقيين: عليات عبده وسنیة أنور ومنى زهران وإبراهيم عبده وسالم علي. حتى التنفس مارسوه بحذر فساد الصمت وشمل كل شيء. ولم تدب الحياة إلا تحت الأضواء الباهرة داخل البلاتو. ولما أعلن محمد رشوان انتهاء اللقطة خرج الممثلان من دورهما ورددت الروح إلى الواقفين وراء الكاميرا فقالت منى زهران:

- إنه ممثل أصيل.

وقال إبراهيم عبده:

- شيء لا يصدق!

وعبئا حاولت عليات إخفاء توتر أعصابها والفرحة التي انطلقت في حنايا قلبها. وأقبل مرزوق نحوهم فصافحهم وعائق إبراهيم. ووقف أمام إبراهيم في زي عسكري واحد يتبدلان النظر والابتسام. وقالت عليات مخاطبة أخاها إبراهيم:

- إنه يلعب دورك في الفيلم!

وتفحصه إبراهيم بعناية وقال:
- ولكنك أنيق كضابط.

فقالت سنية ضاحكة:

- لأنه يمارس الحب لا القتال.
فسؤاله إبراهيم:

- وهل يمتد دورك إلى الجبهة؟
فأجاب مرزوق:

- أجل، قرأته في السيناريو، وهو يصور بطولة خارقة..

فضحشك إبراهيم ولم يعلق بحرف. وجاء المخرج محمد رشوان فصافح الجميع. وكان قد عرف عليات وسنية من قبل فتعرف بمني زهران وخطيبها سالم علي. وكان يتفحص الوجوه كما يتفحص الصائغ الحلبي. واقترب من إبراهيم وقال له:

- ستحتاج إليك في بعض المعلومات الضرورية..

فتساءل إبراهيم ضاحكا:

- تقصد بعض الأسرار؟!

- كلا.. إنما ما يسمح بتصويره..

- ليس كل ما يسمح بتصويره مما يحسن تصويره!

فقال محمد رشوان:

- إنما هدفنا أن نحيي بطولتكم!

ثم التفت إلى منى زهران وسألها:

- ألا توافقين على ذلك؟

فهزت رأسها بالإيجاب. ثم عاد إلى إبراهيم وقال:

- كلنا جنود ولكن تختلف الميادين!

فضحك إبراهيم بفتور وقال:

- ولكننا نقاتل وأنتم تمثلون!

وضحوك الجميع. وأزف وقت تصوير لقطة جديدة فذهب مرزوق

ومحمد رشوان. وعند ذاك قالت منى زهران:

- هذا المخرج لا يوحى بالثقة!

فقالت عليهات:

- ولكنه ذو فراسة مذهلة ومقدرة خارقة.

فلوتوت مني شفتيها وقالت:

- إنني على خلاف الكثرين أحترم الأفلام الهزلية..

فسألها سالم علي:

- لماذا يا عزيزتي؟

- هي على الأقل صادقة!

فضحك إبراهيم في مرح صاف لأول مرة وقال:

- صدقت.

ثم همس في أذن سنية خطيبته:

- كدت أفقد حياتي أمس مرتين!
فقبضت على كفه بحنان وهمست:
- لا سمح الله!
وعكست عينها الخضراء وان نظرة ساهمة. وسألت عليهات منى
بمرح عابث:
- متى تهاجرين؟
فأشارت منى إلى سالم وقالت:
- هذا الرجل هو المسئول عن فشل المشروع.
فقالت له عليهات:
- نحن مدينون لك بالشكرا.
فقالت منى:
- الهجرة على أي حال سنة!
فسألها إبراهيم:
- ولو كانت إلى الولايات المتحدة؟
فأجابت بتحدى:
- ولو كانت إلى الجحيم!

١٣

في زيارة طارئة تلقت عليهات وسنينة مع مني زهران في مسكنها بالمنيل. لم تكن زيارة عادية، أو هذا ما قرأته مني في عيني صديقتها. وقالت عليهات:

- لدينا رسالة مهمة..

فأثار ذلك حب استطلاعها إلى أقصى حد وتساءلت:

- أي رسالة؟ ومن؟

- من مزروع أنورا

- الفنان الكبير؟!

فقالت سنية:

- محمد رشوان المخرج يرحب في مقابلة خاصة..

فذهلت مني واتسعت عيناهما ولم تدر ماذا تقول، فقالت عليات:

- إنه يفتح لك دنيا الكواكب والنجوم..

وقالت سنية:

- وإن أردت الحق فكأنك خلقت لذلك..

وتفكرت مني وهي في غاية الانفعال، وتمتّمت:

- لم يجر لي ذلك في خاطر.

فقالت عليات:

- ولا كان جرى في خاطر مزروع.

- أود أن أستأنس برأيكما..

فقالت عليات:

- جربني حظك بلا تردد.

وقالت سنية بتوكيد:

- بلا تردد.

- ولكتني لم أجرب هذا الفن من قبل.

فقالت سنية:

- الحب قد يسبق الفن وقد يلحق به، لا أهمية لذلك..

وفي الساعات القلائل التي تلت المقابلة جعلت تفكير في الأمر فاجتاحتها فكرته ووَقعتْ أُسيرة لسحره. وتلفنت لسامِل على أن يقابلها في دار الشاي الهندي ولما أخبرته بما اعتزمه ذهل الشاب وصعق وقال:

- لا شك أنها دعابة!

فقالت بتوكيد:

- بل إنني أعني ما أقول تماماً.

فهتف بيأس:

- ممثلة سينمائية!

فقطبت متسائلة:

- ولم لا؟!

فقال بغضب:

- لا!

ولم تعجبها لهجته وأشعل غضبه كبراءها فقالت:

- لا أقبل هذه اللهجة..

- وأنا أرفض الفضيحة!

- فضيحة؟! أنت.. أنت...

فقططعها بحدة:

- لقد قبلت من أجلك ما لا أستطيع تجاوزه بخطوة أخرى واحدة..

فصاحت:

- أنت تمن علىي بذلك!

- إني أعني تماماً ما قلت..

فاصفر وجهها وقالت بانفعال شديد:

- كفى.. كفى.. أرجوك.. لا ترني وجهك بعد الآن!

فقام وهو يقول:

- أنت معقدة ومجونة!

وفسخت الخطوبة للمرة الثانية.

واستجابة لانفعالها الشديد، فضلاً عن رغبتها الأصلية، سعت إلى مقابلة محمد رشوان. زارته بصحبة مرزوق أنور، في مكتبه بشارع عرابي. ورحب بها بحرارة وجلس إلى مكتبه وهو يقول:

- إنهم يسمونني يا آنسة مني كولمبس لكثرة ما اكتشفت من نجوم وكواكب، ولم تخب نظرتي مرة واحدة فأبشرني مقدماً بالنجاح..
فأشار مرزوق إليه وقال لها:

- إني أومن بهذا الرجل!

وعاد محمد رشوان يقول:

- إني أرشحك لبطولة فيلم أعزز به جداً، هل تغنين؟

فأجابت بحياة:

- كلا.

- لا يهم، ممكن الاستغناء عن الغناء ولكنني لن أفرغ للفيلم الجديد قبل ستة أشهر..

فقال مرزوق:

- وهي فرصة لإجراء الاختبارات الضرورية والدعائية الالزمة.

- برأفو مرزوق، وإنذن فقد تم الاتفاق على كل شيء ..

وعقب مرور يومين على المقابلة استدعاها المخرج تليفونيا إلى مكتبه. وفي ذلك الاجتماع الذي اقتصر عليهم التقط لها بعض الصور الفوتوغرافية، وأجرى لها بعض الاختبارات الصوتية كما دعاها إلى تمثيل موقف درامي من أحد أفلامه. وطيلة الوقت شجعها بابتسامة لطيفة فأنست إليه وخفق قلبها بالامتنان. غير أنها لم تترح إلى نتائج الاختبارات رغم تشجيعه الودود. ومالت إلى الاعتقاد بأنها لم تخلق لهذا الفن وأن أي اجتهاد تبذل فيه مصيره الضياع. ولم تخف عنه مخاوفها فقالت:

- إني غير راضية عن نفسي ..

- هذا بالحرف ما قالته فتنة ناصر عن نفسها في أول اختبار.

فعاودها شيء من الأمل في صورة ابتسامة حلوة، فقال:

- وفتنة ناصر في الأصل جامعية مثلك وهي اليوم جوهرة غالبة في دنيا الفن !

وتععددت اللقاءات وتكررت الاختبارات. ومضى أكثر الوقت في أحاديث عامة عن الفن والحياة. ولاحظت مني أن الأمية تغلب على تفكيره رغم شهرته ونجاحه وأنه كان يمكن استساغته بشيء من التساهل لولا غروره الهرمي الذي لا يتحمل. ولاحظت أيضا أنه يعجب بها أكثر مما يعجب بفنها. بل باتت تؤمن بأنه لا يكترث لفنها على الإطلاق وأن المسألة من أولها لأنها مجرد شرك. وعند ذاك تجمعت في صدرها أبخرة الغيظ والغضب وخيبة الأمل. ولما قال لها وهو يظن أنه آن له أن يمديده لجني الشمرة:

- جو المكتب غير مناسب لهذه الأحاديث الطلبية فأنا أدعوك للعشاء!

لما قال لها ذلك أدركت ما يعنيه وهي تشعر بالغشيان. أما هو فاستمر يقول:

- يجب أن ترى عشي الخلوي بالعامريه!
وأحسست بأنفاسه المشبعة بالتبع وهي تتردد على خدتها فثار غضبها ولطمته على وجهه!

تراجع في وقوته حتى استقام عوده، وتحجرت نظرته وانتفع خداه بالغضب، ويسرعة هوى على خدتها بكفه الغليظة فترنحت وتهاوت على الأرض. وصاح بها:

- تظنين أنك امرأة لا يجوز مسها في عرف اللياقة العصرية، يا خنزيرة يا بنت الخنزيرة!

قامت مشعثة الشعر ورأسها يدور وهي لا تصدق فصاح بها مرة أخرى:
- اخرجي يا عاهرة وقصي هذه القصة على أمك..
ما زال رأسها يدور وتناولت حقيبتها، وسوت شعرها، ومضت نحو الباب، وصوته يتبعها قائلاً:

- دعوتي للعشاء ما زالت قائمة، وتحياتي لأمك!

١٤

ثار سالم علي ثورة جامحة تخطت جميع الحدود. صمم على نبذ مني واحتقارها، واعتبرها فتاة مجنونة، وأن من حسن حظه حقاً أنه عرفها

على حقيقتها قبل أن يتورط في الزواج منها. ولم يقنع شقيقه الأصغر حامد بثورته فقال له:

- مازلت تحبها يا أخي.

فصاح بغضب:

- أبداً، وسوف تعرف ذلك بنفسك.

وكان حامد يحب شقيقه ويؤمن بأنه يفهمه، فقال:

- أنت يا أخي برجوازي ويناسبك الزواج البرجوازي!

فتضاعف غضب سالم وقال:

- عييكم الأساسي هو تعلقكم بالمصطلحات، انتظر وسوف ترى..

قال له بإشراق:

- إن مركز القضائي...

ولكنه قاطعه:

- انتظر وسوف ترى..

وعاد إلى بؤرة قديمة كان هجرها مذ عرف مني زهران. ذهب إلى ملهي «مركب الشمس» بالهرم وهو نصف ثمل. وانزوى في الحديقة رغم برودة الجو وطلب من النادل أن يدعوه سميرة لمشاربته. وسميرة كانت صديقته، وهي راقصة من الدرجة الرابعة ترقص ضمن مجموعة في خلفية المسرح عندما يغني مطرب بالملهي. وهي في الخامسة والثلاثين، وبها مسحة جمال، وجسمها أجمل من وجهها، ورخيصة الثمن نسبياً، وقد دهشت لعودته عقب غياب استمر أكثر من نصف عام، فتظاهرت بغضب لا أساس له، وقالت له:

- رجعت يا خائن..

وراحا يشربان. ولا حظت أنه - بخلاف عادته - يشرب بآفراط. وكانت ترتاح إليه؛ لأنه مهذب، ولأنه يملك سيارة صغيرة، وأخيراً لأنه كريم. وقالت له ضاحكة:

- أنت تشرب كالوحش.

فقال لها:

- سأنتظرك آخر الليل.

ومع أنها رحبت بذلك في أعماقها إلا أنها قالت متسائلة مع رغبة في تأدبيه:

- كلا..

وتبادلا نظرة طويلة، ثم قالت:

- مرتبطة الليلة..

فهتف بضجر:

- كلا..

- كلا!

- كيف حال بنتك الصغيرة؟

- مع أمي كما تعلم.

فأفرغ كأسه وقال:

- عندي فكرة لا بأس بها..

- فكرة؟!

فترى ث قليلاً لأنه شعر رغم سكره بأنه مقدم على أخطر خطوة يتخذها في حياته. وغضب لترى شه فقال:

- أرغلب يا سميرة في أن نعيش معا!
فتذكرت قليلا ثم تمنت:
- فيها قولان!
- ولكنك لم تدركني مقصدتي!
- أعتقد أنه واضح.
فقال وهو يركز عينيه في كأسه:
- أريد أن أتزوج منك!
فطالعته بإنكار، ثم قالت بحدة:
- أنت سكران!
- بل رجعت إليك لتحقيق ذلك.
فجعلت تنظر إليه في ريبة فقال:
- ما قولك؟
- أفق!
- الليلة إن أمكن!
ثم وهو يتناول يدها:
- ستبقى الصغيرة عند والدتك، ولكنني سأرتب لها مصروفاً معقولاً،
لست غنياً ولست فقيراً..
فتساءلت بدهشة:
- أنت جاد حقاً؟!
- هيا بنا في الحال إن شئت..
فضحكت وسألته:

- ماذا جعلك تقرر ذلك؟

- أريد أن أستقر، أستقر مع امرأة معقولة بلا خداع، فهل أنت على استعداد لنسيان الماضي وبدء حياة جديدة؟

فضحكـت ضحـكة عصـبية وقـالت:

- لا يوجد مأذون مستيقظا في هذه الساعة..

فقام وهو يقول:

- لا أهمية لذلك ما دام سيسـتيـقـظ في الصـبـاح الـبـاـكـرـ..

١٥

كان الدكتور علي زهران يرنو إلى شقيقته مني بحزن. كان باطنه يغلي ولكن لم يبد في وجهه إلا الحزن. قال لها:

- أنت يا مني فتاة ممتازة وأنا لا أتصور ذلك.

فقالـت بـأـسـى:

- لننس ذلك.

- ولكنـي أـشعـر بالـلـطـمة فوق وجـهي!

- خـيرـ من ذلكـ أن تـحدـثـني عنـ مـشـروعـ الـهـجـرةـ..

- الـهـجـرةـ!

ثم بفتور:

- الإـجـراءـات طـولـيةـ ولـكـنيـ أـنتـظرـ.

- لا أريد أن أبقى في هذا البلد يوما آخر.
- فقال وباطنه ما زال يغلي:
- عييك أنك شديدة الحساسية، ما كان يجب أن تقطعني رجلا مثل سالم علي في لحظة غضب..
- فقالت بنبرة تشى بالدموع النابع من جذورها:
- لا أريد أن أبقى في هذا البلد يوما آخر..
- رجل ممتاز ويرحبك.
- دعنا من تلك السيرة..
- إنني أتساءل أحياناً: لماذا نعتبر أنفسنا على حق دائما؟
- فقالت باسمة:
- لأننا على حق..
- الهزيمة زلزلتنا..
- ونورتنا..
- أسمحين لي بالاتصال بسالم علي؟
- فانتشرت قائمة في فزع وقالت:
- كلام.
- فكري قليلا.
- كلام.
- ألا تريدين أن...
- فقطاعته بحدة:
- أريد أن أهاجر.

وهز منكبيه ثم ودعها وغادر البيت. مضى إلى صيدلية واتصل تليفونيا بمكتب المخرج محمد رشوان سائلا عنه فكان الجواب أنه يعمل في استديو مصر. وحاول الاتصال بالاستديو ولكن الرقم ظل مشغولا فاستقل سيارته وانطلق بها بسرعة إلى الاستديو. وهناك - وكانت الساعة العاشرة مساء - علم بأنه غادر الاستديو وأخبره موظف أنه ذهب إلى «جاميكا» لتناول العشاء. ووجه سيارته إلى جاميكا بالطريق الصحراوي. ومضى يجوب حدائقها ويتفقد البهوج ولكن لم يعثر له على أثر. وقال له المدير: إن الأستاذ لم يحضر بعد فمضى يتمشى أمام المطعم. وحوالي الحادية عشرة وقف سائق سيارة في الموقف أمام المطعم وتركها رجلان فأشار الباب إلى أحدهما وقال للدكتور علي:

- ها هو الأستاذ محمد رشوان..

كان يتقدم مرزوق أنور بخطوات، ويسير على مهل وهدوء وفي خيلاء بجاكته الجلدية الطحينية وبنطلونه الكحلي. اتجه الدكتور علي زهران نحوه في هدوء أيضاً على ضوء المصباحين المغروسين في أعلى المدخل فالتفت الرجل إليه في غير اهتمام، ولعله توقع أن يسمع كلمة إعجاب أو اقتراح من نوع ما يتصل بعمله. ودون أن يتغوه الدكتور بكلمة ركله في بطنه بكل قوة عضلاته وأعصابه. انطلق من فم محمد رشوان خوار. حملقت عيناه. ثم تهاوى ساقطاً على وجهه. حدث ذلك بسرعة خاطفة حتى ذهل مرزوق أنور فتجمد كتمثال. وخرج من ذهوله صائحاً:

- أنت مجنون؟ وأقبل الباب مهولاً، وتجمع بعض سائقي السيارات. أحاط بعضهم بالدكتور علي وانحنى الآخرون على الأستاذ الملقي وصاح الدكتور علي زهران يخاطب الرجل الملقي أمامه:

- أنا شقيق مني زهران يا وغد..

فانتقض عليه مرزوق أنور حتى قبض على عنقه وهو يهتف:

- أنت مجنون.. لن تفلت من يدي..

فنزع يديه بغضب وهو يصيح:

- إنه وغد يستحق التأديب..

وارتفع صوت من بين العاكفين على الرجل الملقي وهو يقول:
- مات الرجل.. اقبضوا على القاتل!

١٦

ذهبت مني برفقة أبيها إلى مكتب الأستاذ حسن حمودة المحامي بشارع صبري أبو علم. وقد تذكره الأستاذ زهران في محنته لا لزماله قديمة فحسب، ولكن لاعتقاده بأنه أحد ثلاثة يعتبرون قمماً كمحامين جنائين. وكانت حجرة مكتبه واسعة وفخيمة. فاستقبلهما بقامته المديدة ووجهه الأسمر الغامق وعينيه المشعتين، ثم رحب بالأستاذ زهران، ووقفت عيناه -ثوانٍ- شبه مبهورتين عند مني قبل أن يدعوهما للجلوس ثم جلس.

وشرع الأستاذ زهران في قص قصته وسرعان ما قاطعه الأستاذ حسن:

- أهو ابنك؟ لم يخطر لي ذلك على بال؟

ومضى الرجل في قصته التي أصبحت قضية حتى فرغ منها وهو ينتهد، فقال الأستاذ حسن:

- البقية منشورة في الصحف!

ثم وهو ينظر إلى مني مجاملاً:

- من المؤسف أن قتل من يستحق القتل من غير جهة اختصاص يعتبر جريمة!

فقالت بصوت ضعيف مقهور:

- لم أتصور أن ينتهي الأمر بمؤسسة طاحنة..

- ثمة مأساة معقولة ومؤسسة لا معقولة.

- وأخي لم يعرف عنه يوماً أي ميل للعدوان.

- لو كان خيراً في العدوان لما تورط في جريمة غير مقصودة..

وطلب منها أن تقصص القصة التي بدأت بها المأساة فقصتها عليه بتفصيلها. سألهَا:

- هل يوجد شهود؟

- كنا وحدنا في حجرة مكتبه.

وتساءل الأستاذ زهران:

- وهل من مبرر لادعاء الباطل عليه؟

فقال الأستاذ حسن حمودة باسماً:

- أنت أدرى بدقة القانون..

فقالت مني:

- واضح أنه لم يقصد قتله.

- يجب أن أطلع على ملف القضية أولاً، غير أن المنشور في الصحف يدل على أن الدكتور كان يسعى للقاء القتيل، وأنه بحث عنه في استديو مصر كما بحث عنه في مطعم جاميكا، ثم انتظره، ثم كان ما كان..

- ولكن هل يكفي هذا لإثبات أنه قتله عن تعمد وإصرار؟

- كلا، ولكن ترى هل أصابه في مقتل؟
- حتى لو كان ذلك صحيحا فلا شك أنه وقع مصادفة..
- ولكننا مطالبون بإثبات أي رأي نرتئيه، ولا تنسى أنه دكتور، وأنه - في نظر المحكمة - خبير بالمقاتل!
- وغضي الظلام عيني الفتاة فعاد يقول ملاطفا:
- ولكن حول ذلك سيركز نضالنا، وعلينا أن ثبت أنه ضرب أفضى إلى القتل..
- فتساءلت وهي تنهار تماما:
- والأمل؟ ألا يوجد أمل؟
- فقال الأستاذ بصوت رنان:
- طبعا! وهو أمل كبير.. والله المستعان!
- وعاشت مني الأيام التالية في الجحيم. ولم تكد تفارقها عليات وسنية. وكانت تقول:
- حتى لو بري من القتل المعتمد فقد قضي على مستقبله..
- ولم توجد كلمة صالحة للعزاء فمضت تصرخ:
- على اللعنة! أنا المسئولة عن كل شيء.
- وسعت إلى لقاء شقيقها في السجن. وبكت بحرارة وجنون. ومن عجب أنها وجدته هادئا مستسلما. وقال لها:
- كفي عن البكاء يا مني فلا جدوى منه.
- فقالت وهي تتحبب:
- ولكنني السبب اللعين..

فقال بهدوء:

- أنت معتدى عليك، وكان طبيعياً أن تفضي إليّ بحزنك، كما كان
طبعياً أن أغضب..

وغمغم بكلام لم تدركه، ثم قال:

- ثمة خطأً أعمى لا أدرى عنه شيئاً، قتل الرجل وقضى عليّ..

- أنا الخطأ الأعمى يا أخي..

- هو أقوى منك ومني، كفي عن البكاء..

- ليتك لم تغضب يا أخي!

فقال بضجر:

- ولكنني غضبت، وعلىّ أن أواجه المصير..

١٧

عهد بالفيلم إلى المخرج أحمد رضوان فأتم المراحل الباقية منه
محافظاً على أسلوب محمد رشوان. وحظي مرزوق أنور
بإعجاب المخرج الجديد لدرجة لم يتوقعها فبعثت فيه روح الأمل من
جديد. وكان أحمد رضوان مخرجاً ناجحاً غير العقود، عرف في ميدانه
بسرعة الإنجاز مع الإنقاذ وحسن التوفيق لدى الجماهير فانفتحت أمام
مرزوق أبواب العمل. وقال له أحمد رضوان:

- أنت فنان موهوب، وسأجعل منك الخليفة الحق لأنور وجدي..

فاهتز مرزوق طرباً وحلم بالمجد فعاد يقول له:

- ولكن لا تجمد نفسك في نمط، النمطية مفيدة ولكن المرونة خير وأبقى، المرونة التي أعنيها أن تمثل الشيء ونقضيه، الطيب والشرير، ولنك البطولة في الحالين..

وتنهد في حزن وقال:

- لم يكن كذلك رأي المرحوم محمد رشوان.

ثم وهو يهز رأسه في أسى:

- كان لطيفاً وراح هدراً! أنت تقول إنك تعرف مني شقيقة القاتل؟

- معرفة سطحية جداً، ولكنها صديقة شقيقتي وخطيبي.

- أتصدق ما ادعته في التحقيق؟

فهز منكبيه وقال:

- سمعت همساً يقول إنه كانت علاقة جنسية توجد بين القاتل والقتيل.

فذهل مرزوق وقال:

- ولكن المرحوم.. أعني أنني لم أسمع عنه...

فقطاعده:

- ما علينا، سيكشف التحقيق عن الحقيقة، الله يرحمه، لا يجوز أن يذكر بسوء وهو بين يدي الله!

وكانا يجلسان بمطعم الاستديو فانضمت إلى مجلسهما فتاة بلا استئذان فقدمه إليها ثم قدمها قائلة:

- فتنة ناضر، نجمة جديدة مثلك، ولكنها لمعت في سماء الفن منذ عام..

وكان مرزوق يعرفها من صورها، كما علم بعلاقتها الخاصة بأحمد رضوان عن طريق المرحوم محمد رشوان. وكانت ذات جمال خاص لا يدرك من أول وهلة ولكنه نافذ الأثر. خيل إليه أنه يوجد قدر من عدم التناسب بين قسماتها ولكن جاذبيتها طاغية. وجسمها يميل للصغر في جملته ولكنه في حدوده مليء ورشيق وجنسي إلى أبعد الحدود. وكان أحمد رضوان في الخامسة والخمسين، والدال لفتاة متزوجة من موظف في السلك الدبلوماسي وشاب مهندس في بعثة في الاتحاد السوفيتي. واتسم غرامه بجنون الكهولة. وفتنة في الأصل جامعية، والمعروف في الوسط أنها عشيقه لشري عربي يدعى الشيخ يزيد، فرش لها شقة في الدور العشرين بعمارة النيل، ولم يكن يزور القاهرة إلا في مواسم أو عابرا، وقال له أحمد:

- فتنة موهبة سخية وستعمل معها في الفيلم القادم..

وربت يدها بحنان وقال مخاطباً مرزوق:

- ومن مزاياها أنها شقيقة ضابط شهيد فقد في حرب يونيو..

وعرض فيلم مرزوق فحقق نجاحاً ملحوظاً. أما هو شخصياً فاعترف به كفنان موهوب وتنبأ له أكثر من ناقد بمستقبل باهر.

وتعاقد معه أحمد رضوان على ثلاثة أفلام فاستقرت الأرض تحت قدميه وعزم على الزواج من عليات في أقرب فرصة. وعندما اشترك مع فتنة ناصر في تمثيل أول الأفلام المتعاقد عليها شعر بأنها توليه عنابة خاصة، فتلقي ذلك بحذر شديد حرضاً على علاقته الطيبة بأحمد رضوان. وكانا - مرزوق وفتنة - يستريحان في حديقة الاستديو بين فترات التصوير حين سأله:

- أحق ما يقال عن زواجه؟

فأجابها بطيبة:

- في أقرب فرصة.

- مبارك مقدماً.

ثم مستدركة:

- ستكون أول وجه جديد متزوج.

- أجل..

- ولكن ألا تحتاج إلى حرية مطلقة و خاصة في البداية؟!

- طالت مدة الخطوبة وليس ثمة ما يبرر التأجيل.

فسكتت قليلاً مستسلمة لبرودة الليل، ثم سالت:

- وهل خطيبتك من الوسط الفني؟

- كانت زميلة جامعية وهي الآن موظفة بالشئون الاجتماعية.

- أعتقد أنها مطالبة بحكمة سقراط لكي تسعد معك.

- يا لها من مبالغة!

ومشيit قليلاً حتى غابت في الظلام تماماً ثم عادت إلى منطقة النور

وهي تقول:

- توجد فرصة لإنشاء شركة بيننا!

فدهش ممزوق وتساءل:

- شركة؟!

- ليس بالمعنى التجاري، أعني ثنائية ناجحة..

- سمعت ذلك من الأستاذ أحمد وسعدت به..

- فعلينا أن نتحمس لثنائيتنا!

- بكل سعادة من ناحيتي..

- لي الثقة كل الثقة في رأي أستاذِي أَحمد..

ورمته بزهرة بنفسعٍ كانت تفريها بين أصبعيها وذهبَتْ. اضطربَ
مرزوقُ. اجتاحتَه عاطفةٌ سعيدةٌ وأثيمةٌ. تذكرَ علىياتٍ فيما يشبه
الاعتذار والندم.

١٨

بدأ حسني حجازي جاداً أكثر من المألوف. وقف في حجرة الجلوس
ينظر باهتمام وإشراق إلى منى زهران. ولم تكن تبادله النظر، عيناهَا
السوداوان شبه مغمضتين مستسلمةٍ إلى مسند الفوتيل الكبير كالنائمة،
تعلوها الكآبة، وقال لنفسه: إنها الصديقة الوحيدة التي لم تستسلم
لنزواته. والتي لا تستسلم إلا للحب. وهو يذكر كيف زارتَه أولَ مرَّة وهي
طالبةً بصحبةٍ علىياتٍ وسنينة مسوقة بحسب الاستطلاع، وكيف
شاهدَتْ أفلامَه الجنسية المثيرة ولكنها لم تنزلق رغم الإثارة، فلم تهبه
أكثر من الصدقة وكف هو من ذرَّ من بعيد عن مطالبتها بمزيد. قال:

- دعوتك لأنني شعرت بأنك في حاجة إلى صديق في محنتك..

فجرت على شفتيها ابتسامة خفيفة إعراباً عن شكرها فعاد يقول:

- دعوتك من قبل ولكنك لم تلبِّي!

- كنت في غاية الحزن.

فمال نحوها قليلاً، وقال بحنان:

- على أي حال احمدي ربنا، حسن حمودة محام قادر وقد أنقذ عنقه من المشنقة!

فقالت بأسى:

- ولكنه سيقضي في السجن عشر سنوات، وخسر مستقبله إلى الأبد!

- قضاء أخف من قضاء.

فقالت بعصبية:

- وأنا المذنبة الحقيقية!

- ماذا كان بوسعك أن تفعلي؟ ما فعلت إلا أن شكوت همك

لشقيقك..

- لن يهون قوله من شعوري بالإثم..

ورفع الرجل كأسا بيده إلى فيه، ثم نظر إلى كأس موضوعة على ذراع الفوتييل على كثب من يدها كأنما يدعوها إلى الشراب، وتراجع خطوات حتى استند إلى حافة البار، ثم قال:

- فكري في الهموم من حولنا تهن عليك همومك.

- لا أظن.

فابتسم متسائلا:

- مصممة على الحزن؟

- لست حزينة، إنني أعيش حياتي ولكن بلا طعم!

فهز رأسه الضخم وقال:

- قد يعرض لي عارض حزن، أتدرين كيف أعالجه؟ أتذكر آلاف القتلى وما يخبيه الغد من احتمالات، وسرعان ما يهون علي حزني..

رفعت منكبيها في وجوم ولم تنبس، فقال:

- وهزتني ثورة الطلبة من الأعماق، ثم تذكرت أننا قد ندفن تحت الأنفاس في أي لحظة..

فهتفت بحدة مباغطة:

- هناك ما هو أدهى وأمر وهو أننا نعيش في الحقيقة على التسول..

فضحك حسني عاليًا وقال:

- يا له من تعبير صادق ومثير!

- لم ضحكك عاليًا؟

- صدقيني أنني لم أضحك ضحكة واحدة من قلبي منذ ٥ يونيو!

ثم مستطرداً:

- هي مجرد أصوات يا عزيزتي مني.

- كيف يهنا بعض الناس بالنوم؟

- إنهم يضعون على أعينهم نظارات التاريخ السحرية فتتجلى لهم رؤية أخرى..

- ألا ترى تلك النظارات عشرات الآلاف من الضحايا؟

- كلا، ولكنها ترى ما هو أخطر!

- ألمت جاد فيما تقول؟

- كل الجد.

- إذن فأنت راضٍ؟

- لست من صانعي التاريخ فنظرتي رهن بضعف بصري وهي مليئة بالشجن والubit.

وولاها ظهره ليملأ الكأس من جديد فتناولت كأسها وشربت حتى النصف، ثم تحول نحوها قائلاً:

- اشربي، يلزمك ثلاث كثوس على الأقل.

فابتسمت لأول مرة وقالت:

- بك حنين ملحوظ إلى الوطنية فهل قمت بواجبك؟

فصب الشراب في جوفه دفعه واحدة، ثم قال:

- في مثل سني يكفي أن أحمل الكاميرا وأزور الجبهة لأقوم بواجبي!

- ثم ترجع إلى بيتك السحري!

- هنا أنتهب لذات عابرة بداعي الذعر والحزن.

- سعداء هم الكهول!

- ما أتعس البلد الذي يحسد فيه الكهول على كهولتهم!

وتتبادل نظرة طويلة لا تخلو من عذوبة، ثم قال:

- دعوتك لأسليك فانظري ...

فقطاعته بهدوء:

- الأستاذ حسن حمودة يرحب في الزواج مني!

فذهل حسني حجازي، صمت مليا، ثم هتف:

- إنه يماثلني في السن!

فهزت رأسها نفيا وقالت:

- إنه في الأربعين!

- أراهن على أنك ستواافقين!

- لم تتوهم ذلك؟

-ربما احتاجا على الحب الذي أعطيته أعز ما تملكين ثم لم تجني منه إلا التعب..

فقالت بنبرة ساخرة:

- سالم علي تزوج من مومن!

- لم يعد لهذه الكلمة من معنى!

فتساءلت وهي تنهد:

- أليس من المضحك أن يفعل اثنان بنفسهما ما فعلنا وهمما يتبدلان
الحب؟

- اشربي كأسك وتزوجي من حسن حمودة فلا خير في أن تبقي
وحيدة لتجري أحزانك حتى تقتلك..

وحدثها حديثا مطولا عن حسن حمودة وأسرته الصعيدية العريفة
وأرضه التي صفت في الإصلاح الزراعي ونبوغه في المحاماة، ثم
سألها:

- هل شاهدت آخر أفلامي؟

فضحكت على حين اتجه هو نحو غرفة العرض.

١٩

كانت جلسة واجمة لا تبشر بخير.. ها هي قهوة الانشراح عقب
منتصف الليل ولكنها لا تعد بمسرة واحدة. دخن حسني حجازي
نارجيلته في صمت شامل. اختلس من عبده بدران نظرة فرأه غارقا في
الأفكار. وفي الركن تحت النسبة قرفص عشماوي وهو يرسم على

ال blat خطوطاً و همية بإصبعه . وقال لنفسه : ليلة ثقيلة وسيكون لليالي المقلة طعم العلم .. والتقط عبد بدران نظرة من نظراته فقال :

- وهكذا ألغيت الأفراح !

قال حسني حجازي مواسيا :

- تأجلت لا ألغيت !

- ربنا يسمع منك !

- ربنا كبير يا معلم عبده .

قال عبد بدران بأسى :

- لمالم يحضر في ميعاده دق قلبي بعنف ، وقبل ذلك رأت أمه حلماً فظيعاً ..

- بسيط يا ذن الله !

- من أدراني ؟ لم يسمح لي في زيارته بأكثر من دقيقة ، لم أر منه شيئاً ، اختفى الوجه والرأس والعنق تحت الشاش تماماً !

- إجراء طبي ليس إلا !

فتنهد الرجل وقال :

- وكنا نستعد للاحتفال بزواجه هو وأخته علیات .

- س يتم الاحتفال بعد أسبوع أو بعد شهر !

وسائل حسني نفسه : ترى لهذا هو حال الآباء والأمهات في جميع الأمم أنه توجد شعوب أخرى مشبعة بروح القتال والجهاد ؟ وهل زيف التاريخ حكاية البطولات فلم تصلنا على حقيقتها ؟ فهو عيب فينا أم هي الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان ؟ وإذا كان ذلك كذلك فكيف أمكن

سوق الجماعات البشرية إلى حرب في أثر حرب؟! ما أعظم الفارق بين صورة التضاحية في جريدة يومية أو كتاب تاريخ أو ديوان شعر وبينها في مقهى أو بيت أو حارة! ومع ذلك لم يقبل البشر على امتحان مهنة وهي كره لهم مثل الحرب!

ورفع عشماوي رأسه من فوق ركبتيه وقال:

- نحن مساكين يا أستاذ.

فصدق عبده بدران على قوله قائلاً:

- أجل، نحن مساكين.

فقال حسني:

- ماذا أقول لو كنت شاباً لوجب أن أحمس للحرب؟!

فقال عشماوي:

- بتر ساقاً ابن جارتنا!

- هي الحرب يا عشماوي، ووطنك محظي!

فقال العجوز بغضب:

- أود عندما أرى شخصاً ضاحكاً أن أبصق على وجهه!

- ماذا تظن؟ الحرب تشدنا خطوة خطوة، وإذا استعر لهيبها فلن ينجو من نارها مخلوق، في الجبهة كان أم في داره.

وسائل نفسه مرة أخرى: ماذا يقول الرجل لو علم بما يدور في مسكنه الخيالي؟ اللعنة. ماذا تريدون؟ لم يبق على النهاية إلا القليل. والحياة عزيزة وحبها معقول. وأنت يا مصر عزيزة وحبك لا معقول! لا شك أنه توجد نقطة في العلو تذوب فيها الفوارق وتنمحى الانفعالات المهلكة، وتغتصب عليه صفوه تماماً. وحكم على نفسه بالغباء والحمامة. وقال إنه

ما زال ينقصه قدر مخيف من الغباء والحمق ليكون من عظماء التاريخ.
شعلة الحياة والجنون والغموض الخلاق.

وقال عشماوي:

- من العدل أن تتوزع المصائب بالمساواة الحقة.
- صدقت.

وقال عبده بدران:
- أنا لا أفهم!

فرمقوه حسني بنظرة استفهام فقال:
- أيام الكروب تتتابع كالمطر..
- نحن قلب العالم فماذا تتوقع؟

- الاحتلال، الاستقلال، ١٩٥٦، اليمن، ١٩٦٧، الاحتلال!
فقال وهو يداري ضجراً بدأ يزحف:

- غداً يخلق وطن جديد!
- قلبي غير مطمئن!

- لأنك راجع من المستشفى بعد التأهب للاحتفال بفرح!
- آه يا بلدي!

فقال عشماوي:
- بلد الأولياء والصالحين!

ثم بعنف استرد به بعضاً من وحشيته القديمة:
- يا عرب!

وقال حسني لنفسه للمرة الثالثة: ما أشـق ما تطالبـنا به الحياة،
الضعف والـقوـة، الحـماـقة والـحـكـمة، النـعـومـة والـخـشـونـة، الجـهـل
والـعـلـم، القـبـح والـجـمـال، الـظـلـم والـعـدـل، العـبـودـيـة والـحـرـيـة، وأـينـ أـنـا
منـ هـذـاـ كـلـهـ؟! لاـ هـمـةـ ولاـ مـوـقـعـ يـصـلـحـ لـلـعـلـمـ وـلـاـ بـقـيـةـ منـ عـمـرـ، وـلـكـنـيـ
أـحـبـكـ يـاـ مـصـرـ فـمـعـذـرـةـ إـذـاـ وـجـدـتـنـيـ معـ حـبـكـ أـحـبـ الـحـيـاةـ فيـ سـاعـاتـ
وـدـاعـهاـ الـحـمـقـاءـ!

٢٠

وقفـتـ السـيـارـةـ أـمـامـ عـشـ سـقاـرـةـ.ـ غـادـرـهـاـ فـيـ وقتـ وـاحـدـ الأـسـتـاذـ
حسـنـ حـمـودـةـ وـمـنـىـ زـهـرـانـ.ـ مـضـيـاـ إـلـىـ خـمـيـلـةـ فـيـ النـاحـيـةـ الـجـنـوـبـيـةـ منـ
الـحـدـيقـةـ فـجـلـسـاـ تـحـتـ مـصـبـاحـ خـافـتـ يـرـسـلـ نـورـاـ أـزـرـقـ مـنـ خـلـالـ أـورـاقـ
الـلـبـلـابـ.ـ جـمـيـلـةـ كـعـادـتـهـاـ وـلـكـنـ ثـبـتـتـ فـيـ أـعـمـاـقـ عـيـنـيـهـاـ نـظـرـةـ حـزـيـنـةـ.
وـكـانـ يـعـتـبـرـ أـنـ تـخـطـىـ الـعـقـبـاتـ الـأـسـاسـيـةـ فـتـبـدـىـ مـرـحاـ بـقـامـتـهـ الطـوـيـلـةـ
وـبـشـرـتـهـ الـعـمـيقـةـ السـمـرـةـ وـثـقـتـهـ بـنـفـسـهـ التـيـ تـلـازـمـ حـرـكـاتـهـ وـسـكـنـاتـهـ.ـ وـنـظـرـ
إـلـيـهـاـ طـوـيـلـاـ.ـ وـجـعـلـ يـبـتـسـمـ وـكـانـمـاـ يـدـعـوـهـاـ إـلـىـ الـابـتسـامـ أـيـضاـ.ـ وـقـالـ وـهـوـ
يـتنـفـسـ بـعـقـمـ هـوـاءـ اللـيلـ الـمـعـبـقـ بـرـوـائـحـ نـباتـيـةـ:

ـ المـكـانـ هـادـئـ،ـ بـعـيـدـ عـنـ الدـنـيـاـ،ـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ عـالـمـ آـخـرـ.

فـهـمـسـتـ:

ـ نـعـمـ.

وـشـعـرـتـ بـأـنـهـاـ جـاـوزـتـ الـحدـ فـيـ الـاعـتـرـافـ بـالـسـعـادـةـ فـاستـدرـكـتـ:

ـ وـلـكـنـاـ نـحـمـلـ فـيـ قـلـوبـنـاـ هـمـوـمـ الـعـالـمـ الـأـولـ.

- لك نصيب موفور من الهموم، ولكنك لست أتعس من على سطح الأرض، هل تدركين معنى خسارة ألف فدان في ثانية واحدة؟ ومصرع أب مهيب بأزمة قلبية، وتلوث سمعة أسرة كبيرة كريمة شاركت في حياتنا الوطنية منذ الثورة العربية؟

وترددت وقتاً قبل أن تسأله:

- ترى ألا تعلم بأنني لا أعد صديقة للإقطاع؟

فابتسم بسماحة وقال:

- لا يدهشني ذلك بطبيعة الحال فأنت من جيل الثورة، ولكن لعلك لا تعدين نفسك عدوة لثورة الطلبة؟

- هذا أمر مختلف!

- ليكن، ولنعد إلى همومنك الحقيقية، فأقول لك ألا ذنب عليك مطلقاً!

- ولكننا كما ترى، أما هو...

فقطاعتها بقوة:

- أكرر ألا ذنب عليك..

وأدنى وجهه حتى انعكس الضوء الخافت على جناحي أنفه وقال:

- ستظل القبور مكتظة وكذلك المستشفيات ولن يمنعنا ذلك من أن نأكل ونشرب ونتزوج!

وتنهدت بصوت مسموع وتممت:

- كنا على وشك الهجرة!

فقال ضاحكاً:

- شد ما تمنيتها ولكن بلا أمل، وعلى أي حال فخير لنا أن نختار
موضوع آخر للحديث!

فواصلت حديثها بإصرار:

- وقيل لنا تفكران في الهرب وسفينة الوطن تواجه الشدائـ؟

- آه.. أعترف لك بأنني نشأت وطنـاً ولكتني لم أعد أبالي شيئاً،
ساعديني من فضلك على تغيير الموضوع.

- ألا يهمك أن يتصرـ الوطن؟

فضحـك يائساً وقال:

- يهمـني أن نعيشـ في سلام وسعادة، فإن تحققـ ذلك عن طريقـ النصر
فأهلـا به وسهـلا، وإن تحققـ عن طريقـ الهزـيمة فأهلـا بها وسهـلا!

نظرـتـ إليه بذهـولـ وقالـتـ:

- لا أفهمـ!

- لكـ العذرـ، ولكـني جـئتـ بكـ إلى هنا لأنـي أـحبـكـ..

الواقعـ أنهـ كانـ يـريـدـ أنـ يـقـولـ أكثرـ منـ ذـلـكـ، وفيـ المـوـضـوعـ الذـيـ يـتـهـربـ
مـنـهـ. وـقـالـ لـنـفـسـهـ: لـا مـهـرـبـ مـنـ السـيـاسـةـ فـهـيـ كـالـهـوـاءـ. وـقـالـ:

- لـوـ أـنـهـ اـنـتـصـرـواـ فـيـ حـرـبـ يـونـيـوـ فـمـاـذاـ كـانـ يـفـعـلـ أـمـثـالـنـاـ؟ـ فـالـهـزـيمـةـ
رـغـمـ شـرـهـاـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ بـرـكـةـ لـلـمـغـلـوبـينـ عـلـىـ أـمـرـهـمـ!

صـمـتـ مـنـيـ. خـيـلـ إـلـيـهـ أـنـهـ لـاـ تـسـتـطـعـ هـضـمـ قـوـلـهـ، وـأـرـادـ أـنـ يـؤـكـدـ رـأـيـهـ
بنـغـمةـ جـديـدةـ، رـقـيقـةـ نـوـعـاـ، فـقـالـ:

- الوـطـنـ هوـ الـأـرـضـ التـيـ يـسـعـدـ فـيـهـ الإـنـسـانـ وـيـكـرمـ.

- وـهـلـ نـسـعـ وـنـكـرمـ إـذـاـ هـزـمـتـنـاـ إـسـرـائـيلـ؟ـ

فـلـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـنـبـسـ بـكـلـمـةـ. فـنـفـخـتـ فـيـ ضـيقـ وـقـالـتـ:

- على أي حال فلن أرميك بحجر ما دمت قد عزمت يوما على الهجرة.

وجاء النادل متمهلا فأمر - بعد مشاوره - بـ زجاجة بيرة وحمام مشوى،
ثم قال بعد اختفاء الرجل في ظلام الحديقة:

- لقد رميت بألف حجر !

ثم قال بنبرة وعظ وإرشاد:

- كلما اشتد البلاء حق للإنسان أن يتفاني في البحث عن السعادة.

-رأي غريب!

- ولكنك طبيعي و حقيقي ، ولا شيء كالهم يمتص من السعادة
رحيقها الشهي !

فقالت مني بأسف:

- لي صديقتان عزيزان، توقفت مشروعات سعادتهما بسبب الحرب ..
و سأعل نفسه: كيف نتملص من هذه اللعنة؟ وروت له مأساة عليات
وسنية وهو يتظاهر بالانتباه والاهتمام . وقال لنفسه: إنها شديدة المراس،
ولكنها ستكون زوجة ممتازة . ولكن ماذا أبغى من ورائهما؟ لا حنين إلى
الأبواة ولا إلى الاستقرار ولا إلى الخلود ولكنني أريد الحب! ورفع
قدحه وهو يقول:

- في صحة زواجهنا القريب!

لهدوئها النببي بالقياس إلى بقية المناطق المترفة المشتعلة. واختار منظمو الرحلة طريق رأس البر - رغم طوله - لموقعه بعيد عن مرمى مدفعة العدو. واطمأن الجميع إلى أنهم سيتمكنون بسفر آمن وصحبة هنية. وسخرت فتنة في نفسها من أستاذها أحمد رضوان الذي تخلف عن الرحلة، معتذراً بمرضه، متأثراً في الواقع بجنبه وإثاره السلامة بأي ثمن. ووصلوا إلى بور سعيد في الظهيرة فدعوا من فورهم للاجتماع بالمحافظ. وتبودلت كلمات الترحيب من جهة والحماس من الجهة الأخرى، ثم تقضت ساعات في زيارة بعض الثكنات في المدينة وبعض المواقع في الجبهة. تلاقت الأيدي في مصافحات حارة. وتبودلت النظرات في إعجاب ومحبة. وأحاط الضباط والجنود بفناناتهم وفنانيهم المفضلين. وتذكرت فتنة شقيقها الفقيد فدمعت عيناه، كما تذكر مرزوق صاحبه إبراهيم عبده الذي يرقد في المستشفى بين الحياة والموت. ورجعوا إلى بور سعيد عند الأصليل فتجمعوا في استراحة المحافظة. أما فتنة فاقرحت على مرزوق أن يتوجولا قليلاً في النواحي القرية من المدينة. سارا في شارع طويل عريض يبدأ من الميدان أمام مبنى المحافظة. وعقب دقائق معدودات انفصلتا تماماً عن الحياة التي يضج بها الميدان بما فوق سطحه من سيارات وجندو وموظفين. غاصاً في خلاء شامل وغرقاً في صمت مروع. لا حركة ولا نسمة ولا ظل لإنسان أو حيوان. العمارات والبيوت تقوم على الجانبين مغلقة النوافذ والأبواب كأن لم يطرقها حي، نائمة أو ميتة أو هي هياكت ومشروعات لم تنفح فيها الحياة بعد. وتابقت الأعين لرؤيه أي شيء، وتلهفت الآذان على سماع أي صوت، نافذة مفتوحة أو باب موارب أو غسيل يرفرف في شرفة أو طفل يصرخ أو قطة تموء أو كلب ينبح، كلا ولا ورقة يدفعها الهواء أو عقب سيجارة ملقى أو قمامه مكومة تحت الطوار، أي شيء، أي شيء، أي أثر لإنسان. وهمست فتنة:

- إنه كابوس.

فرد مرزوق:

- نهاية العالم.

- قلبي.. لا أدرى كيف أصف مشاعري.

- تجربة جديدة، ومشاعر جديدة.

- يخيل إلىّي أنني تعيسة أو سعيدة جداً وأحلم بالرجوع إلى بطن أمي.

-أشعر بأنني حر، حرية كاملة، من الحضارة والتاريخ.

- هل يمكن أن نجن فجأة؟

- وممكن أن نحدث الأرواح!

ووجداً نفسيهما أمام مدخل كازينو. مفتح الأبواب وبلا جليس، ووقف صاحبه - فيما يبدو - في مقدم التراس مرتدياً بلوفر وبنطلوناً ومشمر الساعدين. منظر مفاجئ مذهل ولا يصدق.

- لعله مفتوح بأمر المحافظ.

- لعله.

ونظرت فتنة إلى الرجل فحياتها بابتسامة عرفان فسألته:

- ممكن نشرب فنجال قهوة؟

- أو أي شراب..

جلساً في أقصى عمق التراس بعيداً عن مرأى الطريق الخالي. وجاءت القهوة فراحوا يحتسianها بارتياح، قالت:

- بقدر ما سعدت بين الجنود بقدر ما جنت هنا..

- حديثهم مؤثر ولهفهم على القتال واضحة.

- أجل. لا أتصور كيف يواجه الناس الموت!

- إنه جو وعادة وعقيدة، وهذه هي المشكلة.

- وراء ذلك هزيمة خاطفة لم تهضم بعد.

- ولعلهم أفاقوا - مثلنا - كالمجانين!

- ليجدوا كل شيء مثل هذا المقهى الحالى.

وكانت شاحبة الوجه. وذهبت إلى دورة المياه. ورجعت باسمة.
وجدته يدخن سيجارة بعمق فقال لها:

- قرأت اليوم أن أخذ النفس بعمق سبب رئيسي في إصابة الشخص
بسرطان الرئة!

- أتصدق ذلك؟

- لم تعد لي ثقة بما ينشر في الصحف.

فسألته مداعبة:

- صف شعورك عندما تعطل مشروع زواجه؟

فسألها متظاهرا بالاستياء:

- أتسخرين من المصائب؟

فقالت بجرأة:

- أعترف بأنني سعدت بذلك.

فتورد وجهه وقال وهو يقوم:

- أنا ذاهب إلى دورة المياه.

وذهب مسرعا، وعاد وقد غسل وجهه ومشط شعره فسألته
ضاحكة:

- ماذا فعلت؟

- لعنت زماننا!

- ولكنك نجم!

- الفن مهرب كالهجرة التي أصبحت موضة هذه الأيام.

- لا أحب الفلسفة.

فقال بمرارة:

- أنا معفى من التجنيد، ولكن لم لا أطوع مع الفدائين؟

فقالت بسخرية:

- الفنان جندي أيضاً.

فقال بنفس المرارة:

- الحق أنني كفرت بكل شيء.

- ولكنك ترغل في الزواج!

- ماذا تتوقعين عندما يتمخض الجبل عن فأر؟

فصرفت برشاشة، ثم سأله:

- متى نرجع إلى القاهرة في تقديرك؟

- حوالي الفجر.

فقالت ضاحكة:

- إنني أدعوك إلى السحور.

فتورد وجهه وقال:

- لك رجلان، ألا يقنعك ذلك؟

- أحدهما يقوم بالرعاية، والأخر بالأستاذية فمن لقلبي الخالي مثل هذه المدينة؟

وقاما ليغادرا المكان فقال:

أنا رجل في حكم المتزوج.

قالت بتحدى:

لا تكابر، أنت ملكي أنا، ألم تدرك ذلك بعد؟

٢٢

كان مرزوق أنور واقفاً في حديقة الاستديو في فترة الاستراحة عندما وجد أمامه -على غير ميعاد أو توقع- سنية شقيقته وعليات خطيبته. ارتبك وشعر بأنه وقع في مأزق. وكان عليه أن يتمالك نفسه فتمالكتها ومد يده للمصافحة وهو يغمغم بكلمات ترحيب مخنوقه لم تسمع. وأخرسهم الصمت وقتاً، وكادوا يستسلمون له إلى ما لا نهاية حتى خرقته سنية فقالت وهي متوتة الأعصاب:

ليس العثور عليك باليسور في هذه الأيام.

انقطع عن بيته تماماً منذ عشرة أيام فلم يدر ماذا يقول. ودست سنية يدها في حقيقة عليات فتناولت خطاباً وسألته:

أهذا خطابك؟

فأحنى رأسه، لم ينبس ولم يعترض، فقالت سنية:

مخجل مؤسف بلا حدود.

فخرج من صمته متتمماً:

أشاركك عواطفك.

- أنت تقول ذلك!

- أجل، تعذبت طويلاً، ولكن لا يمكن أن تقوم حياة كريمة على
أكذوبة..

فتساءلت عليات بصوت متهدج:

- تعتبر الآن ما كان بيننا أكذوبة!

فقال برقة وحزن:

- تقديرني لك بلا نهاية، كذلك خجلني منك، ولكنه قضاء لا حيلة فيه..

فسألته سنية بامتعاض:

- أيّمُوت حب كبير في دقّيّة ليحل محله حب جديد؟

وهتفت عليات:

- شيءٌ حقير جعلني أعتقد بأنني كنت بلهاء.

فقال:

- إني آسف، لا حيلة لي، وأنت شابة جميلة وسيتسرّم لك كل
شيء.

فقالت سنية:

- قل إنها نزوة أو مصلحة..

فهز رأسه بأسف وقال:

- هي ليست كذلك.

فقالت عليات بعصبية شديدة:

- يجب أن أذهب.

فقال لها بتوصل:

- اغفرى لي ذنبي.

فصاحت رغم غربة المكان:

- يحق لي أنأشكر الحظ الذي كشف لي عن حقيقتك..

وتهدج صوتها منذرا بالبكاء فابتعدت عن المكان حتى اختفت في
الظلام. عند ذاك قالت سنية بلهجة قاسية:

- يا للعار!

فرفع منكبيه مستسلما، ثم قال مغيرا وجهة الحديث:

- أبعدني العمل المتواصل عن البيت، ولكنني سأزوركم في
أول فرصة.

فقالت ساخرة:

- تكاليف الفن باهظة فيما ييلدو!

فتتجاهل سخريتها قائلا:

- زرت إبراهيم في المستشفى، ولكن تعذر عليَّ محادنته..

فقالت وهي تحني رأسها وفي تأثر بالغ:

- لعلك لم تعلم بأنه فقد بصره!

فتصعق لحظات في انزعاج حقيقي على حين صدرت عن الفتاة
زفرات بكاء.

- فقد بصره؟!

- أجل..

- نهائيا؟

- طبعا.

- وهل عرف الحقيقة؟

- أجل..

وساد الصمت فووضح صوت النسيم في غصون الأشجار، ثم تتمت:

- آسف على حظك يا سنية..

- هو على أي حال خير من حظ عليات!

- وماذا قررت؟

- ياله من سؤال! سأتمسك به إلى ما لا نهاية..

فتساءل بدهشة:

- أتعنين ما تقولين؟!

- بكل توكيد.

- لن يهملوه من الناحية المالية ولكن...

ففاطعته:

- قدرت كل شيء ثم اتخذت قراري.

فتردد قليلا ثم قال:

- أرجو أن يكون قرارك نتيجة لتفكير سليم لا لفورة عاطفية زائلة!

- إني أعرف نفسي أكثر مما تتصور!

- إذن فتقبلي صادق تمنياتي!

فتساءلت مغيرة الحديث بدورها ومرجعة إياه إلى مجراه الأصلي:

- ألا يمكن أن تعدل عن قرارك فيما يتعلق بعليات؟

فقال بهدوء وتصميماً:

- كلاماً للأسف!

- إنك تفرط في حب حقيقي.

- ستنزوج في أقرب فرصة.

وفصل الصمت بينهما مرة أخرى حتى قال:

- إني معجب بك!

فقالت وهي تهم بالذهاب:

- ليتني أستطيع أن أقول ذلك لك.

٢٣

جلس حسني حجازي على الديوان الأوسط تحت النجفة في شبه استلقاء وهو يراقب المخرج أحمد رضوان في ذهابه وإيابه أو وقوفه القلق مستندا بكتوعه إلى حافة البار. وقال له:

- اجلس واشرب واهداً..

فهتف المخرج بحقن:

- لن أجد مشاركة وجданية عند أحد!

فابتسم حسني حجازي، وقال لنفسه: إن الجنون هو الطابع المميز لهذه الأعوام. وتذكر أنه أحب مرة واحدة في حياته ثم نسي الحب تماما. هل يقضي عليه بأن يحب من جديد وأن يتوله ويجن وهو يتعرّ في الحلقة السادسة؟

وقال أحمد رضوان بغضب:

- طالما لاحظت أشياء وتغاضيت عنها، ثم ظنتها عابرة!

فقال حسني حجازي برقه:

- يا عزيزي أحمد دعني أفكرك بذلك الرفيق الرهيب الذي نسميه
الزمن!

- إني أقوى من بغل.

- اجلس واشرب كأسا.

- إني أفكر تفكيراً جدياً في قتلها..

- اسمعوا ماذا يقول الزوج القديم والأب الوقور؟!

فقال بتقزز:

- الزواج والأبواة لا يمنعان من الحب ولا من القتل..

- آه لو جلست وشربت!

فضرب الأرض بقدمه وقال:

- واتفقنا على الزواج، الزواج مرة واحدة، أتعرف ماذا يعني هذا؟ أن
تخسرني أنا والشيخ يزيد في آن، الشيخ يزيد الذي نقلها من بيت قديم
بشارع الصقلبي إلى عمارة النيل، وأنا الذي خلقتها!

فقال حسني حجازي ملاطفاً:

- ربما أتيح لنا أن نخلق ولكن لن يتيسر لنا التحكيم في مخلوقاتنا
إلى الأبد..

- المجنونة بنت المجنونة، ألا تدري بأن نورها سينطفئ وأنه لن يجد
من يتعاقد معه على عمل؟

- قم برحلة في ربع أوروبا..

- على الرحلة وعلى أوروبا اللعنة!

- إنني حزين عليك أيها الزميل القديم..
- أليس عندك دواء خير من ذلك؟
- عندي مأساة مماثلة، فأنا أعرف خطيبة مرزوق الأولى. وهي تتألم مثلث تمامًا..
- فقال بمرارة:
- ستشفي من دائتها في ساعة أو ساعتين ونصف.
- فضحك حسني على رغمه وقال:
- إذن فأنت العاشق الوحيد في هذا الوطن!
- فتنهد أحمد وقال:
- الله يحرقها كما تحرقني، الحق أنني لا أتصور الحياة بدونها.
- صبرك، إنها متقلبة الأهواء، وأراهن على أن هذا الزواج لن يعيش أكثر من شهرًا!
- وما عليّ إلا الصبر والتآلم!
- اجلس واشرب..
- ليس لديك إلا النصائح المحفوظة..
- ماذا بوسعي أن أفعل؟
- بوسعي أنا أن أقتل..
- كلا، لست من فصيلة سفاكي الدماء..
- فقال بحنق من تطارده ذكريات مذلة:
- حتى الزواج اقترحته عليهما..
- الله معك!

- وماذا كان جواب العاهرة؟ إنها قررت الزواج أيضا ولكن من الآخر!

وكور قبضته مهددا واستطرد:

- إنهم يقيمون الاستعدادات للوقاية من الغارات الجوية، ويتوقعون حربا شاملة، عظيم، إنني أتنبأ بكارثة ستتحقق بهذه الأرض اللعينة..
وتذكر حسني اللون الأزرق الذي يطلون به النوافذ والمصابيح، وقوائم الطوب الأحمر أمام الأبواب، فانقبض صدره وقال لنفسه إن عزاءه الوحيد في الحياة يتراكم في مسكنه الجميل الحافل، فكيف تمضي الحياة إذا تهدم؟ كيف تمضي الحياة إذا وجد نفسه بين المهجرين في معسكر من الخيام؟ وقال للرجل:

- أنصحك بالقيام برحلة إلى الخارج عقب الانتهاء من فيلمك..

فتاؤه أحمد وهو يستدير نحو البار ليملأ كأسا وقال بمرارة:

- إنني بحاجة إلى رحلة طويلة جدا.

٢٤

دق جرس التليفون على مكتب منى زهران فكان المتكلم سالم علي. رجاهما بكل جدية واحترام أن تقابله « دقائق » في دار الشاي الهندي أو في أي مكان تفضل. واعتذر من ناحية المبدأ فاللح علىها إلحادا شديدا. سألت عن السبب فقال إنه لا يستطيع أن يفصح بما لديه في التليفون ولكن لديه ما يقوله وهو هام وخطير. وذهبت إلى الموعد وهي في غاية من الضيق والقلق. وتقابلا وتصافحا وجلسا معا. ولاحظت من النظرة

الأولى أنه ليس على ما يرام، وارتاحت لذلك ولكنها لم ترتح لارتياحها. فقد من وزنه قدرا ملمسا، وخبأ نور عينيه، وشجب لونه. وقرأت في عينيه انعكاس صورتها فخيل إليها أنه لاحظ أيضا تغيرا استوقفه، فهل صبغتها الأحزان بلونها القاتم وهي لا تدرى؟ وشكر لها «فضلها» بالحضور فصارحته بأنها لا تزيد أن تبقى أكثر مما يجب. أحرجته الإجابة قليلا، ولكنه كان على أي حال يتوقعها، فقال:

- منذ آخر لقاء تلقى كلانا تجارب قاسية، وكم وددت أن ألازمك في محنتك!

فلم تعلق بحرف فقال:

- واتسمت تصيرفاتي طيلة تلك الفترة بحمقات لا وصف لها!

فلم تنبس أيضا، فواصل حديثه:

- أقدمت على زواج بأنه أسلوب من أساليب الانتحار.

فقالت ولو أنها سرعان ما ندمت على قولها:

- فاتني أن أهنتك في وقتها!

فازدردها متဂاهلا وقال:

- وعلمت أنك ستتزوجين قريبا؟

- جدا!

وكان جياشا بانفعالات يخشى ألا يسيطر عليها فصمت قليلا لينظم تشتته، ثم قال:

- معذرة، أود أن أسألك هل تتزوجين عن حب حقيقي؟

فتساءلت باحتجاج:

- بأي حق؟

- لا حق لي مطلقاً، ولكنني تعلمت عن تجربة أن أي تصرف مستهتر يمس حياتنا فهو يتمخض عادة عن كارثة.

- ثوب الواقع لا يناسبك بتاتاً!

فتهجد بعمق واعترف قائلاً:

- مني، أحبك، ما زلت أحبك كأول يوم، لا حياة لي بدونك..

فرمقوته بنظرة ازدراء وغضب، فقال:

- ماذا فعلت بي؟ تزوجت من راقصة تعيسة، لماذا؟ بصراحة

أعتبرك المسئولة!

- مسئولة؟!

- لم ترعى حبنا بما يستحقه من احترام، تجنيت عليه أنا بعنادي السقيم وطعنته أنت بکبریاء جاوز الحد، هكذا يستهين بعض الناس أحياناً بسعادتهم الحقيقة!

فقالت وهي تقطب لتضفي على وجهها قسوة تداري بها انفعالاتها:

- ما الداعي إلى نبش أشياء قد ماتت وشبعت موتنا؟

- لا ينبغي لها أن تموت.

- ولكنها ماتت بالفعل!

- لا أصدق أن الموت يجوز عليها.

- هذا وهمك أنت وحدك!

- أما أنا فلم ألق إلا العذاب حتى حررت نفسي بالطلاق..

نظرت بعيداً لأن شيئاً استرعي بصرها ولم تعلق، فقال:

- انكشف زواجي عن لعبة سخيفة، أدركت أنني لا يمكن أن أوصل الحياة مع المرأة المسكينة، فلا حب يجمعنا، ولا شيء مشترك ألبته، ماذا أقول؟ إنها امرأة سيئة الحظ، أفسدتها حياة الليل وجففت ينابيع الإنسانية في قلبها، سلسلة متصلة من العادات الجهنمية، وإدمان قاتل للأفيون!

- لا أدرى لم تحدثني عن ذلك؟

- لأنني أحبك!

وانتظر دقيقة حتى تستقر الكلمة في وعيها ثم استطرد:

- إن يكن للحب عندك قيمة فيجب أن تصغي إليّ، وأنا أعلم أنك تقدسين الحب، إن كنت تحبين الرجل فمعذرة عن تبديد وقتك. وأما إذا أردت أن تملي بالزواج فراغاً فلا شيء يملأ فراغ الحب إلا الحب نفسه..

فسألته بحدة:

- لماذا تريده؟

- أن نرجع إلى حبنا..

فضحكت ضحكة فاترة وقالت:

- يا له من مطلب مضحك!

- هو مطلب الوحيد في الحياة..

فرفعت منكبيها استهانة ولم تنبس لطمئن إلى سيطرتها على انفعالاتها، فقال:

- إن الأمل يضيء قلبي كالإلهام..

فقامت قائلة:

- آن لي أن أذهب.

فتبعها وهو يقول:

- لن أسلم بخيبة مسعاي، مع السلامة، ومعك قلبي إلى الأبد..

٢٥

لم يبق في الحجرة إلا إبراهيم بمجلسه فوق الكتبة بين سنية خطيبته وعليات شقيقته. ارتدى جلبابا فضفاضاً، برب من طوقه رأسه الحلق ووجهه النحيل الشاحب والنظارة السوداء التي أخفت عينيه. ذاك أول يوم رجع فيه إلى بيته، حيث تلقى سيلاً من كلمات العزاء والتشجيع، ثم أخلت الحجرة إلا من ثلاثة، فأسند رأسه إلى الجدار البارد وأخذ يستحوذ على إرادته. بالنسبة إليه انتهى القتال وانطوى تاريخ واختفى النور إلى الأبد. عندما انقضت عليه الحقيقة قال: «ليتنى مت»، لم يعد يردها، وسرى إلى قلبه دفء عجيب في بيته، ولم يعد يشك أن الحي خير من الميت، ولم تكف سنية عن الكلام، قالت ضاحكة:

- لا يأس مع الحياة، كم من مرة كتبتها أو ردتها، ونسى للأسف قائلها، ولكنني لم أدرك معناها إلا اليوم..

ابتسم لصوتها المحبوب فعادت تقول:

- سأقرأ لك، وستتعلم القراءة على طريقة برييل، وستشق لنفسك طريقاً جديداً!

فتتم:

- سنية، أنا ممتن جداً، أنت ملاك..

وتردد قليلا ثم استطرد:
- ولكنني أعفيك من أي تعهد سابق!
وضعت سبابتها على شفتيه بحنان وقالت:
- لم أسمع شيئا..
- بل فكري طويلا، إن أبعد قراراتنا عن الصواب هي ما نتخذها
ونحن منفعلون..
قالت بقوه وثقة:
- فكرت.. وتبين لي أنني لم أكن بحاجة إلى تفكير ألبته..
- أما أنا فلا أحب أن أكون أنايا..
- إنه قراري أنا، وكيف تقرن الأنانية بشخصك بعد أن ضحيت بالعزيز
الغالبي..

فأمسد رأسه إلى يده وقال:
- ولكنني خجلان.
- أما أنا فسعيدة جدا.

وقالت عليات:

- صدقها، إني مطلعة على مكنون قلبها..

وكان في الخارج تعصف رياح مزمجرة ثم هطلت الأمطار خمس دقائق صفا بعدها الجو وتفشى الدفء والنقاء وشذا السماء.. وأوى إبراهيم إلى فراشه وسرعان ما نام نوما عميقا. وبقيت عليات وسنية في حجرة الجلوس وحدهما، وبين أيديهما إيريق شاي وطبق مملوء بالغول الأخضر. وتبدت سنية سعيدة، وجياشة الصدر بعواطف لم

تفصح عنها بعد. وانبعث في صدرها ينبوع إلهام فأشعرها بشجاعة متحدية وفداية. قالت:

-إنني أفكـر ..

فرمقتها عـليـات مستطـلـعة، فـقـالـتـ:

- لا أـريـدـ أنـ أـخـدـعـهـاـ!

فـزـعـتـ عـليـاتـ قـائـلـةـ:

- كـلاـ ..

- لا أـريـدـ ..

فـقـاطـعـتـهاـ بـخـوـفـ:

- أـخـيـ رـغـمـ شـبـابـهـ مـتـشـبـعـ بـآـرـاءـ أـبـيـ وـأـمـيـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ بـالـذـاتـ فـلـنـ يـفـهـمـكـ أـبـداـ ..

- أـعـتـقـدـ العـكـسـ ..

- كـلاـ، حـسـبـكـ أـنـكـ مـخـلـصـةـ لـهـ حـقـاـ.

فـتسـأـلـتـ سـنـيـةـ فـيـ اـرـتـيـابـ:

- أـلـيـسـ مـنـ حـقـهـ أـنـ يـعـلـمـ؟

- كـلاـ، لـأـعـتـرـفـ بـحـقـ لـاـ يـجـلـبـ إـلـاـ الشـقـاءـ، وـهـوـ لـنـ يـفـهـمـكـ!

- وـإـذـاـ تـرـاءـيـ لـهـ أـنـ يـسـأـلـ؟

- حـسـبـكـ أـنـكـ مـخـلـصـةـ لـهـ، وـالـإـخـلـاـصـ يـحـجـبـ مـاـ كـانـ قـبـلـهـ..

وـتـفـكـرـاـ مـعـاـ فـيـ صـمـتـ وـقـلـقـ حـتـىـ قـالـتـ عـلـيـاتـ:

- لـمـ نـشـقـ بـالـلـهـوـ فـلـاـ يـجـوزـ أـنـ نـشـقـيـ بـالـحـبـ الـحـقـيقـيـ ..

وـلـمـسـتـ فـيـ نـبـرـتـهـاـ حـسـرـةـ عـلـىـ تـعـاسـتـهـاـ فـقـالـتـ مـتـأـثـرـةـ:

- ستجدين الحب مرة أخرى، إنه مع الحياة دائمًا!
- كوارث السلام لا تقل عن كوارث الحرب..
- أعتقد أن كارثة حلت بأخي مرزوق وهو لا يدرى..
فهزمت عاليات رأسها في أسي ثم قالت مستسلمة لذكرى هفت على
قلبه فجأة:

- والدكتور علي زهران ضحية من ضحايا العبث..
وتدبرت سنية مني زهران فجرت على شفتيها ابتسامة فسألتها عاليات
عما جعلها تتسم فقالت:

- قرارات مني زهران!
فضحكت عاليات وقالت:
- عليها أن تعلن نشرة يومية عن تذبذبات إرادتها..
- هل تظنينها قطعت الأستاذ حسن حمودة نهايًا؟
- أعتقد أنها ستتزوج من سالم علي في أقرب فرصة.
- رغم جنونها فهو قرار حكيم..
- كلامها مجنون.

وساد السكوت قليلا حتى سألت عاليات:

- متى يتزوجان؟
- مني وسالم؟
- مرزوق وفتنة!
فأجبت سنية في وجوم:

- لا أدرى.. يقال إنهم سيتزوجان عقب الانتهاء من تصوير الفيلم!
وشعرت سنية بأسى سرعان ما جفف ينابيع إلهامها..

٢٦

دعي الأستاذ حسن حمودة لتناول العشاء بفيلاً الصحفي صفت
مرجان بشارع أحمد شوقي. انعقدت الجلسة في الفراندة المطلة
على الحديقة، فجلس حسن حمودة بين صديقه صفت وحرمه نهاد
الرحمني. تناول طعامه بشرابة وشرب كثيراً وصمم طيلة الوقت على
الظهور بالاستهانة وتجاوز الأزمة.

وقال له صفت مرجان:

- خشيت أن أجده تعيساً.

فقال ببساطة توحى بالصراحة:

- لا وجه للتعاسة!

ثم مستدركاً:

- مسألة كرامة ليس إلا!

الحق أنه لم يتصور أن يجد نفسه في الموقف الذي خلقته له مني.
كان بصدده تحديد يوم الزواج، وقرر الاحتفال به في الأوبرج، وعلم
بذلك الأهل والأصدقاء والزملاء. وعندما جابهته بجرأتها المعهودة
معترضة صعق تماماً. صعق وذهل. توسل إليها أن تراجع نفسها. وكان
أحبها وأمتلاً إعجابها بها وحلم بحياة سعيدة معها. أي لعنة! أكتب عليه
أن يعاني في الحب ما عاناه في السياسة؟!

وسأله السيدة نهاد الرحماني:

- وماذا تنوى بعد ذلك يا عزيزي؟

فأجاب بربزانة:

- سألواذ بالجبل كمجرمي وطني الصعيد ثم أقطع الطريق على الرايح والغادي.

فضحك الأستاذ صفوت مرجان وقال يداعبه:

- مالك أنت وبنات اليوم؟ احمد ربنا على تلك النهاية!

وقالت له نهاد:

- خير ما تفعله الآن أن تتزوج زبحة معقولة قبل أن يفوتوك القطار.
فتساءل بامتعاض:

- معقولة؟!

- أعني أن تناسبك في السن والأسرة.

فقال لها صفوت:

- ييدو أن عندك عروسا!

- العروس الصالحة توجد دائما، ماذا تظن؟

فقال حسن حمودة:

- أمهليني حتى تمضي فترة الانتقال.

وقال لنفسه ساخرا: إن قانون الأشياء يقضي بأن يتزوج صفوت الاشتراكي من امرأة مثل نهاد من أسرة. أما هو فعليه أن يتزوج من إحدى بنات الشعب! وإذا بصفوت يقول:

- حكاية مني معك تعيد حكاية قديمة حدثت منذ عشرين سنة..

فيهت حسن حمودة ثوانٍ ثم ضحك. أما نهاد فتساءلت:

- أي حكاية؟

فأجاب صفات:

- حكاية قديمة كان حسن بطلها!

فقال حسن ساخرا:

- كنت الوغد لا البطل..

فسألته صفات:

- ماذا كان اسمها؟ لقد نسيته تماماً..

فقال حسن:

- سمراء وجدي.

فقالت نهاد:

- لم أسمع باسمها ولا بقصتها.

فقال صفات مرجان:

- كنا طلبة بالحقوق، وعشقها صاحبنا، وكانت من أسرة كبيرة وإن
كان فرعها الخاص لا يملك شيئاً..

فتساءلت نهاد:

- وخطبها؟

- عشقها فقط، وكان عشيقاً جريئاً، يتسلل إليها ليلاً في قصر عمها
على النيل والناس نياً..

- ألف ليلة وليلة.. الله.. الله..

وذات ليلة شعر به الخفيـر، طارده، أطلق النار، أصابت الرصاصـة خـد الفتـاة ولـاذ صاحبـنا بالـفـرار، وعـند التـحـقـيق قـالـت إنـها شـعـرت بـمـخـطـوـات غـرـبيـة، وإنـها خـرـجـت لـتـنـادـي الخـفـير فأـصـابـتـها الرـصـاصـة!

- رائع!

- ولكن وجهها تشوه، أو خدتها على الأقل..

- مسكينة!

- وكما هرب الأستاذ من القصر هرب من حياتها..

- من حياتها؟!

- وإلى الأبد.

وهمت بالتعليق ولكنها أمسكت، ولحظ حسن ذلك فقال ضاحكا:

- انطقي بالحكم، سمعت كل ما يمكن أن يقال.

فقالت:

- كان عليك أن تتمسك بها!

- كان لهوا لا حبا و كنت معجونة بالشباب، وهذا أنا أعامل بالمثل!

فسؤاله صفت مرجان:

- ترى ماذا كان مصيرها؟

فقال حسن:

- إنها تملك اليوم محل لبيع لوازم السيدات بشارع شريف.

- ألم تجمع بينكما مصادفة؟

- مرة منذ سنوات في مشرب بيجال وتجاهلتني تماما..

فقالت نهاد:

- لست قاسيا فيما أعلم.

- الحق أني لم أخل من ألم وتنغيص، حتى تراكمت علي المصائب بقدوم الثورة المباركة فطهرتني من الألم بما هو أشد وأفعع..

فقالت نهاد:

- أمامك فرصة نادرة فتزوج منها.

فضحك عالياً وقال:

- نهاية ممتازة لميلودrama، أما الواقع فإنها اليوم قوادة يشار لها بالبنان!

- قوادة؟!

- قوادة هاوية.

فسألته صفتون:

- ماذا تعني؟

- بيتها خلية للبنات، لها عليهن سيطرة أسطورية، وتسهر معهن في بيوت الأصدقاء، بداعي اللهو والعبث لا المال!

- يالها من نهاية!

- وسمعت بأنها تقول ساخرة إن عصر البراءة قد زال مع الرجعية والإقطاع والاستعمار!

وسأله نهاد:

- ألا تعتبر نفسك مسؤولاً عن تلك النهاية؟

- كلا يا عزيزتي، كان يمكن أن تكون زوجة أو مجرد صاحبة محل مستهترة، أو قديسة..

فيم يثرون هذا الحساب العاطفي من أجل ماض ميت وينسون ما أuanie في قلبي وكرامتي! أليست سمراء وجدي بأسعد مني ألف مرة؟ ألم تفقد أسرتنا ابن أخت في غارات الأعماق؟ كما مات أبي وكمالوث

سمعتنا ظلماً وبهتانا. غير أن أخطر شيء أن يستسلم المرء لعاطفة حب خائب وهو في الأربعين. والفت نحو صفوت فسألها:

- ماذا عن الأخبار؟

فأجاب الرجل الذي لرأيه وزنه دائمًا:

- لا جديد، ولكن الأمور تتحسن فيما أعتقد.

فقال حسن حمودة بضمير:

- الله يسامحك.

فضحك صفات من أعماقه وقال:

- نسيت أنني أخاطب رجلاً هواء مع جيش إسرائيل ضد جيش مصر.

فتساءل وهو لا يخلو من شعور بالاستياء:

- وهذا هو تصويرك لموقفي؟

- المسألة مسألة موقف وطني قبل كل شيء.

- أي موقف وطني! إما الديمocratية أو الاشتراكية، أمريكا أو روسيا، وإذا كان من حكمكم أن تحبوا روسيا فلم لا يكون من حقنا أن نحب أمريكا؟!

فقال صفوت بجدية:

- المهم ما يريد الشعب.

- أي شعب؟

- الشعب، الشعب التحتاني الذي لا تعرفه.

وفاض قلبه بالتهكم والمرارة، والكراهية والسطح، وفي تلك اللحظة

كره كل شيء، حتى الحديقة التي تضوئ بشذا زهر البرتقال، والليل
الرطيب، وصفوت مرجان، وحتى نهاد الرحماني، وقال لنفسه صبراً،
ففي غمضة عين قد تقع كارثة لا تخطر على بال..

٢٧

شهدت عليهات حفل زواج في أسبوع واحد: حفل متواضع جمع بين
أخيها الضرير وسنية، وحفل أقيم في بهو عمر الخيام جمع بين منى زهران
وسالم علي. وقالت: إنه مهما يكن من شأن الصداقاة التي تربطها سنية
ومني فلن تبقى هي هي بعد الزواج، هكذا تعلمت من تجارب سابقة،
فشعرت بفراغ مروع لم تشعر بمثله من قبل. وكرهت فكرة العودة إلى
اللهو والعبث فالحق أنها كانت تتوق إلى الحب. وزارت الأستاذ حسني
حجازي مساء بناء على دعوة تلقتها منه تليفونيا وهي في الوزارة. تلقاها
بحنان قبل وجنتيها، وهو يقول:

- توقعت أن تزوريني من زمن..

لم ألم تجب سألهما:

- ماذا تفعلين؟

فقالت بفتور:

- أكل وأشرب وأنام.

- يجب أن نتعلم من مرارة الأيام التي تتجرعها ألا نحزن أكثر مما
ينبغي مهما يكن المصاب!

قالت بالفتور نفسه:

- إني أتعلم، ولكن التعليم كما تعلم يحتاج إلى زمن.

- أنت شجاعة وأنا مطمئن إلى مستقبلك..

وضحكـت على رغـمـها فـنظرـ إـلـيـهاـ مـسـطـلـعاـ:

- ماذا أضحكـكـ؟

- ما أجملـكـ في ثـوبـ الـوـاعـظـ!

فـسـاءـلـ وـهـوـ يـمـضـيـ إـلـىـ الـبـارـ لـيمـلـأـ قـدـحـينـ منـ كـوـكـيـلـهـ المشـهـورـ:

- تـرىـ هلـ سـمعـتـ هـذـاـ القـولـ منـ قـبـلـ؟

- لمـ دـعـوتـنيـ؟ـ هلـ وـرـاءـكـ فـيلـمـ جـديـدـ؟

فـقـدـمـ لـهـاـ الـقـدـحـ قـائـلاـ:

- إـنـيـ أـفـكـرـ فـيـ مـسـتـقـبـلـ بـنـاتـيـ وـلـأـنـسـاهـنـ كـمـاـ يـنـسـيـنـيـ،ـ لـذـلـكـ حـدـثـتـ
الـمـخـرـجـ أـحـمـدـ رـضـوـانـ فـيـ شـأنـكـ!

فـاشـتـعـلـتـ عـيـنـاـهـاـ فـيـ اـهـتمـامـ وـدـهـشـةـ وـتـمـتـمـتـ:

- شـائـنـيـ؟

- قـلـتـ إـنـكـ فـتـاةـ مـمـتـازـةـ وـجـمـيـلـةـ وـتـصـلـحـينـ لـلـشـاشـةـ!

فـهـنـتـ فـيـ ذـهـولـ:

- أـنـاـ!

- أـنـتـ طـبـعـاـ..

فـضـحـكـتـ بـعـصـبـيـةـ وـقـالـتـ:

- لاـ أـنـصـورـ،ـ لـاـ أـسـتـطـيعـ..

- هلـ كـانـ مـرـزـوقـ يـنـصـورـ أوـ يـسـتـطـيعـ؟

- لست ممثلة.. ثم أنسنت أبي؟

- سيثور طبعا، ويرفض، وسأحدثه طويلا، وسوف يذعن في النهاية!

- إنه أصلب مما تتصور، ولكنه ليس العائق الحقيقي، العائق هنا..

وأشارت إلى نفسها، فقال:

- لندع الأمر للتجربة..

- إذن فأنت جاد؟

- وهو على استعداد لاختبارك!

- وما الذي جعلك تفكّر في ذلك؟

وهو يضحك:

- حتى لا تقصر حياتك على الأكل والشرب والنوم!

ودارت قلتها بالضحك فقال:

- توقعت أن تتحمسي أكثر من ذلك فالحياة تطالعنا بالحماس حتى في أسوأ الظروف.

وشربا معا. وأغمضت عينيها لتفكّر وراح هو يتمشى بين البار والتلفزيون. فتحت عينيها فالتفت بعينيه فسألها:

- ماذا قلت؟

- ليكن، ليس في الإمكان أسوأ مما كان.

فضحك وقال:

- الغم يخلق حكما جديدة.

قالت:

- الشوارع في شبه ظلمة!

- لا يمكن أن تفهمي شيئاً أو تستنتجي شيئاً..
- المستقبل مليء بكافة الاحتمالات.
- في مثل هذه الظروف يحسن العناية بكل دقة خالية من كارثة..
- الأقوال كثيرة جداً.
- لو ضربت القاهرة فستقوم القيامة.
- مسكين أخي، ربنا يأخذ بيده..
- فقال حسني حجازي بجدية: فما أنت إلا ابن أخي الأكبر أمس للتجنيد. أما أختي وهي أرملة غنية فقد فعلت المستحيل لتجنب بكريها التجنيد وذلك بإرساله إلى كندا كمهاجر.
- كيف أمكنها ذلك؟
- فضحك ضحكة قصيرة وقال:
- تخيلي الأمر بنفسك! المهم أنه قتل في الأسبوع الماضي في حادث تصادم!
- فندت عنها آهة تعجب، فقال حسني:
- أضحكني إن شئت!
- فتساءلت:
- هل تنقصنا روح القتال؟
- زوار الجبهة يلمسون روحًا عالية، ولكن الأهالي يعيشون في بلبلة!
- ثم استدرك بنبرة يقين:

- ولا تنسى الفدائين فهم معجزة هذه المرحلة!
ودق جرس الباب الخارجي فمضى إليه باهتمام وهو يقول:
- أظنه أحمد رضوان، كوني شجاعة من فضلك!

٢٨

شهدت فتنة ناصر اليوم الأخير للتصوير وحدها إذ لم يكن لمرزوق دور في ذلك المشهد. وانتهى العمل حوالي منتصف التاسعة مساء فتبودلت التهاني، وشربت أكواب الشربات، ووزع أحمد رضوان نقوداً على العمال. ودعا فتنة إلى فنجان شاي في البو فيه فغيرت ملابسها ولحقت به، وجلسا معاً يحتسيان الشاي ويتناولان البسكوت. وسألت نفسها: أهي جلسة الوداع؟ وكانت ثمة أنباء نمت إليها عن أنه يعد مفاجأة في الوجه الجديدة بقصد القضاء عليها فلم تكتثر كثيراً، مطمئنة إلى ما أحرزته من نجاح بين الجماهير. وفي الوقت نفسه تمنت لو تتفادى من تطاحن سخيف لا معنى له، تمنت أن يثوب إلى رشده إن يكن ذلك في الإمكان. وكان يلاحظها طيلة الوقت فسألتها:

- ترى فيم تفكرين؟

فأجبت بصرامة:

- كيف يمكن أن نظل أصدقاء؟

فقال بامتناع:

- الصداقة لا تصلح بديلاً عن الحب.

- يجب أن تحاكمني بعدلة.

- أهذا يعني أنك ستتزوجين حقا؟

- صارت حتك بذلك في حينه.

فقال محتاجا:

- ولتكنى لم أكن في حياتك شيئا على الهاشم!

فاعترفت قائلة:

- لا جدال في ذلك، نور نجاحي مستمد من روحك!

فقال برجاء:

- أشكرك، ولكن لم الزواج يا فتنة؟ لا داعي للزواج يا فتنة!

- يخيل إليّ أنك لم تصدقني بعد.

- يعز عليّ تصديقك.

- لا تصدق أن الجنون ممکن؟

فقال باستسلام:

- بما أنني مجنون فأنا أؤمن بالجنون ولكن ...

وتوقف فتساءلت:

- ولكن؟

- ولكن هل يبلغ الجنون حد الاستهانة بالمستقبل؟

ها هو يعود للتهديد! هو هو لا يتغير. وقالت:

- المستقبل بيد الله وحده..

فقال ساخرا:

- يعجبني إيمانك!

فلم تضحك، فأذن رأسه إليها وقال:

- إذن فلتبق علاقتنا كما كانت!

فقالت باستحياء:

- ولكنني جادة يا أستاذ!

فقال بحنق:

- إذن لم تكوني جادة فيما مضى؟

فتنهدت ولم تنبس فتمت مغيطاً محنقاً:

- اللعنة..

ثم منذراً:

- أخشى أن تنطفئ الشعلة في صدرينا معاً!

- إن صدقت نيتنا على النجاح فلن نلقى ما نخشاه.

- أعتقد أنك لا تفهمين نفسك، أنت لا تحبين إلا الفن!

فتوسلت إليه قائلة:

- دعني لمصيري..

فهتف بوجه متقلص:

- أنت تدفعيني إلى هاوية..

- أملّ في حكمتك لا حدود له..

- عار أن تعرفي بزيف عواطفك القديمة..

فقطببت في ضيق وقالت:

- دعنا مما كان:

وووضعـت يدها على يده وـقالـت:

- افتح قلبك لصداقة جديدة.

فقال بغضب:

- لا تتحدثي عن الحب كأنك تجهلينه..

فغمغمت في يأس مسدود:

- لا فائدة!

فقال بوحشية:

- لا فائدة!

وصمتا. وسألت نفسها: كيف تنتهي هذه الجلسة التي لا تحتمل؟ واستدعيت للتلليفون فقامت وهي تتنهد في ارتياح. وجعل يراقبها من بعيد وهي تتكلّم.

ورآها تعيد السماع في عجلة ولها وجهة. شيء وقع. شيء ذو خطورة. أخطر مما يتصور. بصرها زائف ونظراتها جنونية. إنها تبتعد ناسيّة تماماً حقيقتها. وتناول الحقيقة وهرول نحوها وما كاد ينطق باسمها حتى صرخت في وجهه:

- أنت.. أنت.. أنت المجرم!

وأجرت نحو سيارتها كالمحجونة.

٢٩

استسلمت فتنة للكرسي المعدني محممة العينين. رقد مرزوق فوق سريره بالمستشفى غارق الرأس والوجه في الأربطة. وكانت قد أجريت له جراحة معقدة في الفك الأسفل والذقن والجبهة عقب الحادث

مباشرة. وجلس في الاستراحة المتصلة بالغرفة إبراهيم وسنية وعليات. حتى أحمد رضوان زاره، ولما وجد الجو معادياً غادر المكان بسرعة. ولما سئل مرزوق بعد مضي وقت مناسب قال في التحقيق إنه كان يسير في شارع ابن أيوب في مطلع المساء، في ظلام شامل، وفي طريق خال، حين هاجمه شخص أو أكثر، وانهالت على وجهه الكلمات حتى غاب عن وعيه تماماً، ثم لم يسترده إلا في المستشفى. وتلقى السؤال التقليدي إن كان له أعداء أو كان يتهم أحداً، فأجاب بالنفي، ولكن التحقيق جره إلى ذكر قصة حبه بملابساتها، مما استدعاي سؤالاً لأحمد رضوان بل وعليات عبده. ولم يكن الشيخ يزيد بمصر، وأنكر أحمد رضوان أي علاقة بالحادث، وكذلك عليات، واستمرت المباحث في البحث خلال جو كثيف الغموض.

وتركت القلق حول مسألة هامة شغلت عقول أهله وأحبابه، فتساءلت سنية:

- ترى إلى أي حد سيتغير وجهه؟

فقال إبراهيم عبده:

- على ذلك يتوقف مستقبله.

فعادت تقول:

- فتنة بكت بحرارة.

- إنها تبكي عليه وعلى نفسها.

ومرت فترة الانتظار ثقيلة على القلوب المحبة. وغادر مرزوق المستشفى بوجه جديد! رغم ما قدم الطب من معجزات فقد خرج بوجه جديد. لم يكن القبع طابعه، ولكنه فقد شخصيته ومذاقه وروحه. كان ثمة تجويف صغير في جانب الجبهة وأعوجاج في الفك أضفى عليه

قصوة من غير معدنه وانحدار في الذقن إلى الخلف. وعندما رأى صورته في المرأة نظر إليها طويلاً في ذهول حتى امتلأت عيناه بالضباب، ثم تهاوى جذعه فتقوس من اليأس وهتف:

- انتهيت!

وتحول إلى فتنة بوجه ملؤه الخذلان وكرر:

- انتهيت يا فتنة!

فأحاطت عنقه بذراعيها وقالت بحرارة:

- كلا!

- انتهيت وأنت تدركين ذلك!

- كلا!

- كلا؟!

- ربما.. ربما...

فقطاعها متسائلاً:

- ربما؟

فقالت وهي تخفض عينيها:

- يوجد أكثر من دور ناجح للممثل القادر مثلك.

فهتف يائساً:

- أنت توافقيني علىرأيي بأسلوب آخر.

فضصمته إلى صدرها وهي تقول:

- لنؤجل التفكير في ذلك!

- وهل يوجد ما هو أهم؟

فقر صته في خده معايشه وقالت:

- نحن نستعد للزفاف!

فرنا إليها بذهول، وعينه اليسرى ترتعش وتضيق، وتساءل:
- ماذا؟

- الزفاف يا عزيزي الجاحد!

- أهو مجرد عناد؟

فصاحت بغضب:

- كلا..

وسائل نفسه: ترى هل تعني ما تقول؟ هل تتحقق تلك المعجزات فوق الأرض؟ وكان صدرها يجيش بالحب والعطف والتحدي، وكانت مصممة على تحطيم درع الدناءة الصلب والبصق على وجه الشماتة الكالح. وضمته إلى صدرها بقوة وهي تقول:

- فلنمض في استعدادنا للزفاف!

٣٠

تلقاها حسني حجازي بين ذراعيه. أنامت رأسها فوق صدره في استسلام فشعر بشدة توقها إلى العنان. وقال وهو يربت ظهرها:

- قلق الدنيا والآخرة مطبوع فوق وجهك العذب يا عليات.

فتملصت من ذراعيه وانحacket فوق الفوتييل وهي تسأله:

- أين كنت في الفترة الماضية؟

- سافرت إلى يوغسلافيا للاشتراك في مهرجان للأفلام القصيرة.

- ألم تسمع عما حدث لمرزوق أنور؟
- إنه حديث الوسط الفني، وكثيرون يتهمون أحمد رضوان، وهو مجرد ظن لم يقم عليه دليل، ما رأيك؟
- لا أدرى، أنا نفسي سئلت في التحقيق!
- فداك نفسي يا عزيزة.
- وتم زواج فتنة ومرزوق.
- إنه حديث الوسط أيضا، ولكن لا يستطيع أحد أن يتبنّى بالنتيجة!
- فقالت بفتور:
- سنية وإبراهيم سعيدان، وهي تجربة مماثلة!
- كلا.. ثمة اختلاف جوهري، ولكنك لم تحدثيني عن تجربتك!
- أي تجربة تقصد؟
- مع المتهم أحمد رضوان؟
- فقالت باستهانة:
- فشلت تماما. لا ذرة من استعداد عندي للتمثيل..
- فنظر إليها بإشفاق وقال:
- وهذا ما يحزنك؟
- كلا..
- ولكنك افتقدتني في غيابي فلماذا؟
- كنت أقرع جرسك كل مساء!
- فتساءل باسما في سخرية:
- هل اكتشفت أخيرا أنني معشوقك الحقيقي؟

فصمتت. أشارت إلى بطنها. ثم قالت:

- يوجد هنا شيء غير مرغوب فيه!

فهتف بدهشة:

- كلا!

- هي الحقيقة!

- ولكنك حريصة دائمًا..

فقالت بمرارة:

- تعبت من الحرص كما تعبت من الحياة.

فجعل ينظر إليها وهو يتذكر منظر جزر الإدرياتيك كما تلوح لعيني المشاهد في دوبروفنيك في ليالي القمر، ثم سألهَا:

- من؟

- لن يخطر لك على بال!

- يو ثانت؟

- سائح مجهول ذو لحية شقراء وشعر مضفر دعاني للعشاء فلبيت!

فضحشك حسني طويلاً، ثم قال:

- احتفظ بي به فسيكون درة!

- كدت أجنب في غيابك..

فقال بعطف:

- غلبك الحزن أكثر مما يجوز.

فقالت بتأنّر شديد منذر بالدموع:

- كان التحقيق، ثم الزواج، وشعرت بأن الدنيا ماتت ولن تبعث.

وراح يملاً قدحين وهو حزين، وقدم لها قدحها قائلاً:

- صحتك!

وأفرغاً القدحين معاً. وقال - لا عن صدق - ولكن عن عطف حقيقي:

- تذكرتك وأنا جالس في حديقة تحت الأرض في دوبروفنيك فتاقت

نفسى إليك بحنان عجيب!

- لعلى كنت أفكر فيك وأنا أقرع جرسك فلا يرد.

- قلبي معك، لا تخافي يا عزيزتي ..

فنتهدت بصوت مسموع تردد كالنغمة في جو الحجرة السحري.

وكان يروض رغبة طفت إلى أعصابه، رغبة طارئة وناعمة في أن يلعب
الحب معها. ولم يعلنها، وذهب إلى التليفون وأدار القرص:

- ألو! سمراء؟ كيف أنت؟! جميل أن تعرفي صوتي من أول كلمة..

أريدك على عجل.. الآن إن أمكن.. إلى اللقاء..

ورجع إليها وهو يسأل:

- أتعرفين سمراء وجدي؟

فهزت رأسها نفياً فقال:

- آن لك أن تعرفيها.

٣١

ظل حسن حمودة أربعين عاماً لا يفكر في الزواج ولا يهتم به حتى
عرف مني زهران. وبعد أن فشل مشروع زواجه منها لم يعد له من شاغل
إلا الزواج. وأثير الموضوع من جديد. أثارته نهاد هاتم عقب عشاء دعيت

إليه هي وزوجها صفات مرجان في قصر الأستاذ حسن حمودة بشارع الفضل بالعجزة. وهو قصر ضخم ذو حديقة كبيرة ورثه عن أمه، ويقيم فيه وحده مع الخدم. وهو يمتاز بحياته لطاء فاخر خلائق بأن يعتز به مطعم عام من مطاعم الدرجة الأولى. وهو أكول ذو ذوق للطعام الجيد، وتماثله نهاد في ذلك، بخلاف صفات الذي يقنع بكأسين من ال威سكي ومختارات من الشواء والخضر والفاكهة. ودار الحديث عن الزواج وكان هو الذي فتحه على رغم ما عرف عنه من ولع خاص بحديث السياسة الذي لا ينتهي. قال لها:

- أود أن أسمع آخر أنباء عن عروسك!

فقال صفات:

- أراهن على أنك ستتزوج قبل نهاية هذا العام.

وقالت نهاد هانم:

- هي أرملة وأم لبنت وحيدة في الجامعة ومن أسرة كبيرة مثل سعادتك.

فغلبه الفتور وقال:

- لن يقل سنها عن الأربعين.

- هي في الأربعين!

فقال محتجا:

- ولكنني في الأربعين وتلزمني عروس شابة.

فقالت نهاد ضاحكة:

- لست خطابة.

وقال صفات:

- عليك أن تجدها بنفسك في سينما أو في مرقص أو في الطريق!

فقال يائسا:

- لا وقت عندي للبحث، ولو لا جنائية دعيت للدفاع فيها ما عرفت
مني زهران..

فقالت نهاض:

- ما عليك إلا أن تنتظر جنابة أخرى.

وسائله صفوٰت:

- ولكن هل تنسّبك فتاة من هذا الجيل؟!

-۲۷-

- لهن رؤية جديدة في الحياة والحب.

فقال بلا تردد:

- أنا في هذا المجال تقدمي أكثر مما تتصور!

فضحک صفوت مر جان و قال:

-لست أول شخص يجمع في ذاته بين الرجعية في السياسة والتقدمية في الحب!

اكفره وجهه الأسمى الغامق، وزداد إشعاع عينيه حدة. أثارته - كما تشيره عادة - تهمة الرجعية. إنه يعتبر الديمقراطية غاية التقدم، وما عدتها نوعاً من النازية أو الفاشستية. وهو يفهم الديمقراطية على أنها أسلوب من التعامل بين الصحفة في المجتمع. الصحفة من أصحاب المصالح الحقيقة وأهل الفكر والثقافة. أما عامة الشعب فلا يعترف بهم ولا يعمل لهم حساباً في قائمته الإنسانية. لذلك لم يحن هامته أمام الموجة الشعبية الهائلة التي أطلقتها الثورة. وكان يسخر من بعض أهل طبقته الذين تأثروا بها فراحوا يهزون شجرة الأسرة بعنف لعلهم يعشرون على غصن فقير..

«شعبي» يلوذون به في الإعصار العاصف الذي يقتلعهم من جذورهم. كان يعتز دائماً بأصله الرفيع، والعمالقة من أعمامه وأجداده، وينظر إلى الأشياء والناس نظرة أرستقراطية متعصبة. وقد انتشلته ملاحظة صفات مرجان العابرة من حديث الزواج فردهة إلى موضوعه الأبدى وهو السياسة فقال:

ـ الديمocrاطية الأمريكية رجعية؟! أمريكا أمة علمية، وقد تجاوزت بالعلم خزعبلات الشيوعية ونبوءاتها الكاذبة..

فقالت نهاض:

ـ نحن لا نكف عن الكلام، لا أحد يتكلم مثلنا، والغارات تمتد إلى أعماق بلادنا..

فقال حسن حمودة بحقن:

ـ المسألة أننا أمة مهزومة ولكنها تأبى الاعتراف بهزيمتها!
ثم نظر إلى صفات وسأله:

ـ متى نعترف بالواقع في تقديرك؟

فأجاب صفات وهو يشعل سيجارة:

ـ سيخطو الروس خطوة جديدة وهامة في تقوية دفاعنا. الروس أيضاً! إنه يكره الروس أكثر من الكوليرا. ولو لاتهم لكان ٥ يونيو يوم السعادة الحقيقة والفردوس المفقود. وسأله:

ـ هل نصمد حتى تصل المعونة الروسية الجديدة؟

فقال صفات بثقة:

ـ لن يسمحوا بهزيمتنا مرة أخرى!

ـ مبارك عليكم هذا الأمان!

فضحك صفوتو و قال:

- الروس لا يستغلون..

و فقهه حسن حمودة عاليا . اعتدها نكتة فروح بالضحك عن حقده المشتعل . روح بالضحك عن أحلامه الدموية المكبونة . وكانت نهاي تمل حديث السياسة بسرعة فسألته بنبرة مرحه :

- لم لا تعلن عن رغبتك في الزواج في إحدى المجالات؟

فضحك حسن ، و فضحك صفوتو ثم قال تأييدا للفكرة :

- أقترح الإعلان الآتي :

ح. ح. محام ناجح، غني، من أصل أرستقراطي، في الأربعين من عمره، أمريكي الهوى إسرائيلي الرؤبة، يرغب في الزواج من فتاة في العشرين، مثقفة عصرية، جميلة.

فواصل حسن ضاحكه وقال:

- سيعجّلني الرد من وزير الداخلية!

٣٢

أمضى مرزوق وفتنة شهر العسل في أسوان، ولما رجعا إلى القاهرة أقاما في شقة بشارع فني وتأهلاً للمواجهة الغيب . وكان مرزوق قد استرد كثيراً من الثقة المفقودة وتألقت في خياله أحلام غير شاحبة . ودعية فتنة للقيام ببطولة فيلم فاقتراحت أن يلعب مرزوق الدور الأول أمامها، ولكن اقتراحها رفض بأسلوب اعتدته غير مقبول فرفضت الفيلم بصف . وتكرر ذلك مرة أخرى في نفس الأسبوع ! عند ذاك رأى مرزوق أن الأمر

يستحق المناقشة. تزعمت ثقته وتبخرت أحلامه فأقبل على المناقشة بقلب جاف وتصميم يائس. قال لها:

- لا يجوز أن ترفضي فيلماً بعد الآن وإلا...

فقطاعته:

- إني مؤمنة بأنك ستكون عنصر نجاح.

- المهم أن يؤمن الآخرون، فاقترحي إذا شئت ولكن لا ترفضي..

وشعر بأن النجاح الذي أحرزه إنما يخص شخصا آخر لا علاقة له به. وبحسرة قال لها:

- يحسن بي أن أفكر جديا في وظيفتي التي لم أشغلها..

فقالت بارتياع:

- تعمل ست ساعات بسبعة عشر جنيها!

- علىّ أن أتوافق مع الواقع مهما يكن مرا!

ورفض من بادئ الأمر أي مغامرة سخيفة أو تفكيرا جنونيا. قال:

- واضح أنني لم أعد صالحًا للبطولة.

فقالت برقة:

- توجد أكثر من بطولة في الفيلم، ولكن حذار من الأدوار الثانوية فهي شرك لا فكاك منه..

أجل هي شرك. وهذا المسكن الأنثى شرك أيضا. وحبه الذي ضحى في سبيله ب الإنسانية شرك ثالث. وتجهمته الحياة لحد التقدّز..

ودق جرس التليفون. كان المتكلّم أحمد رضوان!! وكان يستأذن في زيارة. ونظرت نحو مرزوق مستطلعة فقال رغم انفعاله الشديد:

- إذا كان لعمل فليحضر..

وجاء في الميعاد. وانحنى باحترام تحية متجلباً - في الوقت نفسه -
مغامرة المصافحة. وجلس في أدب لا متفخا ولا مزهوا. وقال:
- توجد غشاوة من سوء الظن.
ونقل بصره بينهما، ثم قال:
- علينا أن نبددها، لأنه لا مبرر لها، ولأنه لا غنى لنا عن العمل
المشتراك!

لم يسمع تعليقاً. شعر بجمرات النظارات تلسع وجهه فقال:
- كان استدعائي للتحقيق سخفاً، ألمني جداً، كما يجدر بإنسان بريء
بكل معنى الكلمة..
ولما لم يسمع كلمة التفت نحو مرزوق وقال:
- لست مجرماً، أنا فنان مثلك، وحيبي لزملاطي مضرب الأمثال..
تنبهت فتنة إلى أنها لم ترحب به ولم تقدم له شيئاً فأشارت إلى البار
وقالت:

- معدنة، اشرب شيئاً..
وقام إلى البار فتناول زجاجة الكورفوازييه شرابه المفضل فملأ كأساً،
ثم عاد فواصل حديثه الموجه إلى مرزوق:

- يوجد أكثر من شخص يمكن أن تحيط حوله الشبهات، البراءة لم
تسعدني، ما يهمني حقاً هو أن تقنع أنت ببراءتي..
لم يسمع إلا أنفاساً تردد فانطبع الأسف في أساريره وقال:
- افتح لي قلبك وصارحنـي بما فيه.
وثبت عليه عينيه حتى قال مرزوق:

- لم أعد أفكر في الأمر تاركاً غواصيه للشرطة!
- عظيم، لننتظر، أنا مطمئن تماماً، ولتكلم الآن في العمل!
- وشرب كأسه دفعة واحدة ونظر إلى فتنة وقال:
- كانت بيننا مشروعات مشتركة!
- فهزت رأسها بالإيجاب فقال:
- ماذا يمنعنا من التنفيذ؟
- قالت بهدوء:
- الجواب عندك.
- فأشارت إلى زوجها وقالت:
- كان أيضاً ضمن المشروعات.
- قالت بثقة:
- سيكون له دور محترم!
- أحب أولاً أن أدرس دوره في السيناريو!
- عظيم، ولكن أوصيك بالمرونة والحكمة، إنتاج فيلم في هذه الظروف الكثيبة مغامرة يستحق القائمون بها كل تقدير، في أي لحظة، ونتيجة لهجوم أو غارة قد يتوقف العمل في الفيلم، وربما في عالم السينما كله، والعاقل من يدرك ذلك.
- قالت بهدوء وتصميم:
- قلترأيي يا أستاذ أحمد.
- تذكرني أن همومنا صغيرة إذا قيست بالويلات التي تنصب على الوطن!

فقالت ضاحكة على رغمها:

- لا أذكر أنك اهتممت بالولايات من قبل!

فتساءل محتاجاً:

- أهذا كلام يوجه لرجل أخوه يعمل في الجبهة؟
وقام فانحنى مرة أخرى محيياً ثم غادر المكان.

٣٣

تعرفت عليهات على حامد في بيت مني زهران بالزمالك. كانت دعوة للعشاء حضرتها سنية وعليات. وشهدها حامد باعتباره شقيق سالم زوج مني. ومن بادئ الأمر اهتم حامد بهاتيات اهتمام إعجاب. وأوصل الفتاتين إلى محطة الباص، وفي أثناء الطريق أعلن عن رغبته في مقابلة عليهات لمزيد من التعارف. وهو ما شجعت عليه سنية - فتم الاتفاق على ذلك. وتقابلا عند الأصيل في ميدان طلعت حرب، وسألها: أين تفضل أن يجلسا؟ فاقترحت دار الشاي الهندي، ربما لتفاؤلها بها بعد أن جمعت بين مني وسالم. وكانت معلوماته عنها لا بأس بها، مثل درجتها العلمية ووظيفتها بالشئون الاجتماعية وغير ذلك من المعلومات التي اعتقدت أن مني بلغتها إياه. ودهشت وهو يحدثها عن وظيفته البسيطة بسكرتارية مؤسسة التي لم تتناسب مع حديثه الذكي المثقف. سأله:

- من أي كلية؟

فقال بلا ارتياح:

- الثانوية العامة فقط!

فارتبت قليلاً وقالت:
ـ الحق أنك مثقف جداً.
ـ ذاك شيء آخر.
وقرأ في عينيها تساؤلات تداريها بأدبها، فقال:
ـ عقب حصولي على الثانوية العامة اعتقلت!
تساءلت باهتمام:
ـ لم؟
فقال ضاحكاً:
ـ بتهمة الشيوعية!
فنظرت إليه بحب استطلاع وإشراق، فقال:
ـ لم أكن شيوعياً عندما اعتقلت بتهمة الشيوعية.
ـ ذلك مؤسف بقدر ما هو غريب.
فقال باسمها:
ـ بقدر ما أنت جميلة..
وساءلت نفسها: كم مرة سمعت هذه الجملة. ولكن كم مرة قيلت
لو وجه الجمال وحده؟ قالت:
ـ لا تبالغ.
ـ من أول نظرة شعرت بأنه سيكون لك معي شأن.
فقالت ببساطة:
ـ شكرًا..
ثم مستدركة في تساؤل:
ـ ولكن كيف سقطت عليك تهمة الشيوعية؟

- لا أدرى.

- لم أكن أتصور أن الأخطاء تقع بتلك السهولة.

فقال متهكما:

- كل شيء ممكـن.

فتجلـت في عينيهـا العـسليـتين نـظـرة تـشـع سـخـرـية وـمـارـة مـعاـ.

قال:

- كنت في الثامنة عندما قـامت الثـورـة فـأـنـا أحـد أـبـنـائـهـا..

وـتـبـادـلـاـ نـظـرة طـوـيـلة قال بـعـدـهـا:

- منـي زـوـجـةـ أـخـيـ معـجـبةـ بـكـ، وـحـدـثـنـيـ أـيـضاـ عنـ أـخـيـكـ البـطـلـ.

- إـنـهـ يـشـقـ طـرـيقـهـ فيـ الـظـلـامـ بـإـرـادـةـ قـوـيـةـ.

- وـأـثـارـتـ إـعـجـابـيـ أـيـضاـ بـزـوـجـتـهـ..

- أـحـيـاناـ يـرـتفـعـ الـحـبـ بـالـإـنـسـانـ إـلـىـ ذـرـوـةـ عـالـيـةـ.

- أـفـظـنـهـ كـذـلـكـ دـائـمـاـ..

- كـلاـ لـيـسـ دـائـمـاـ..

فـقـالـ باـسـمـاـ:

- لا دـاعـيـ لـلـتـشـاؤـمـ فـإـنـيـ أـكـرـهـهـ.

- حـسـنـ.

واـحـتـسـيـاـ الشـايـ وـتـنـاوـلـاـ أـرـبعـ قـطـعـ مـنـ الـجـاتـوـهـ، وـتـبـادـلـاـ فـيـ أـثـنـاءـ ذـلـكـ
نـظـراتـ موـحـيـةـ.

ثـمـ سـأـلـتـهـ:

- هل جـنـدتـ؟

فـأـجـابـ باـقـضـابـ:

- كلام.

ثم مستدركا:

- عيني السرى لا تكاد تبصر..

فسألته بإشفاق:

- مرضت بها؟

- فقدتها أو كدت في المعتقل!

فارتسم الذعر في وجهها، فقال باسما:

- أستطيع أن أعجب بك بعين واحدة فضلا عن عين وربع!

- ومع ذلك فأنت بريء من الشيوعية!

فضحك وقال:

- عندما أفرجوا عني كنت قد انقلب شيوعيا في نظرهم.

وضحكت فضحك. وبدت لهما الأمور في غاية من الفكاهة، وعند

ذلك سألهما:

- ماذا تفضلين، السينما أم الرقص؟

قالت بعذوبة:

- ليس الليلة من فضلك..

٣٤

نظر حسني حجازي إلى القادمة بدهشة، ثم فتح ذراعيه فتعانقا بحرارة، ثم تملصت من ذراعيه فسبقته إلى حجرة الجلوس وهو يقول في أثرها:

- عزيزتي سمراء وجدي، أهي سعادة..

وأسكتت الراديو وهي تسأله:

- كنت تسمع آخر أنباء الغارات؟ بي شوق نهم إلى كوكتيلك.

فاتجه إلى البار وهو يقول:

- أول مرة تحضررين فيها وحدك!

فقالت بنعومة وهي تتناول كأسها:

- إنما أجيء هذه المرة من أجل نفسي لا من أجلك.

متوسطة القامة، رشيقه كلاعبة في سيرك، بقضاء موردة من الأمام، ومن الناحية اليسرى تبدى جمالاً أنيقاً نبيلاً، أما عارضتها اليمنى فمشدودة في تقلص، مدبوغة باحمرار ضارب للسواد، وبها بقع متفرقة ونتوءات كالدرن. جلست واضعة رجلاً على رجل وهي ترنو إليه بغموض وتحفز حتى أثارت حب استطلاعه إلى أقصى حد. قال وهو واقف أمامها:

- ما أسعدني بك يا سمراء!

- لا تكذب، أنت تسع بالعصافير التي أجيء بها..

- ولكنك تعلمين كم أحبك وأحترمك.

فقالت ساخرة:

- لا يهمني الاحترام!

- لا شيء يرفع من شأن الإنسان كالمساعدة.

- لا تذكرني بأشياء لم أعد أتذكرها.

فقال بلهجة صادقة:

- نحن في زمن خسيس معبدة المال، وبوسعك أن تربحي منه

الآلاف، ولكنك تجودين بكل جميل من أجل اللهو والحب لا المال،
أنت من كوكب آخر..

فقالت ضاحكة في سرور:

- أنا صاحبة محل وغنية..

- لا تبخسي حرك من الثناء، لو أردت لبلغت درجات أخرى من
الغنّي لا يقاس بها غناك!

فcameت ب نفسها إلى البار لتملاً كأسها من جديد ثم عادت إلى مجلسها
وهي تقول:

- اسمع يا عزيزي الكهل الفاسق، إنما قصدتك لمسألة تهمني
شخصياً!

- في خدمتك، لعلك تريدين مشاهدة آخر الأفلام.

فقالت بهدوء، وهي تنفذ إلى روحه بنظرة عينيها:

- أريد علنيات!

لاح لأول وهلة كأنما يحاول تذكر صاحبة الاسم فقالت بتحدد:

- الفتاة التي دعوتنى لإجهاضها!

- آه، ولكنني لا أدرى عنها شيئاً تقريراً إلا إذا جاءتني بنفسها، هل لي
أن أنطفل فأسأل عن السبب؟

فقالت ببساطة:

- الظاهر أنني عشقتها.

فضحلك حسني ثم تسأعل:

- ترى هل تحب هي ذلك؟

- عندي أمل !

- أليس لديك من البنات ما ...

فقط اطعته بحدة :

- ما هذا الكلام الفارغ الذي لا يتوقع من كهل فاسق مجرب مثلك !

- معدنة ، ولكنها كانت بين يديك ؟

- زارتني مرة في المحل للشcker ثم اختفت ..

- لعلها اختفت متعمدة ..

- كيف أتصل بها ؟

- أعدك بأن أبلغها رغبتك في زيارتها إذا زارتني يوما .

فقالت بغضب :

- لا جدوى منك . أناي تأخذ ولا تريد أن تعطي ، وتنسى أيادي
البيضاء عليك !

- سعيت يوما إلى تزويجك من رجل ممتاز .

- أنت تعلم أنني لا أحب الرجال فلا تمن علىّ !

فتفكر قليلا ثم قال :

- أعرف مثلا أنها موظفة بالشئون الاجتماعية ولكنني لا أدرى في أي فرع هي ولا ما هو عنوانها ، وتتناهى إلى بعض أخبارها أحيانا عن طريق والدها نادل مقهى الانشراح بشارع الشيخ قمر .

فقالت باهتمام :

- سأنتظر مكالمة تليفونية منك .

وتتبادل نظرة طويلة ثم قال لها باسمها:
- اشربي كأسك يا عزيزتي !

٣٥

الحياة تظلها سحب دكناه من القلق والمخاوف الصامتة. بذلك شعر مرزوق أنور. وفتنه تشاركه مشاعره وإن تظاهرت بغير ذلك. والاستمتاع بمظاهر الحياة البراقة المحفوف بالضحكات الرنانة وقرع الأنخاب لا يغير من الحقيقة شيئاً. وكلما زادت المجاملات الناعمة زاد الحذر والتوجس، وتلوث في مكامنها كالديدان. وقال لها مرزوق يوماً:

- ها هو موسم التعاقدات انتهى ولم نظر بعقد واحد!
فقالت باستهانة:

- ليكن عام إجازة.
وكان يقرأ قلبها ويسمع ما يقال في الوسط فقال:

- لا يمكن أن تسير الأمور هكذا.

فقالت بإصرار:
- فلتسر كما تشاء.

هذا عناد المعركة لا الحب. ومن يدرني إن كان للحب وجود إلا كقشرة لنواة المعركة الصلبة. الشخص الذي أحبته لم يعد له وجود. قال:

- لا يجوز أن ننتظر حتى نفلس معاً.
- أنت كثير المخاوف، والدنيا أفضل بكثير مما تتصور.

- أرجو ألا ترفضي عملاً بسببي مستقبلاً..

- حتى لو كان مع أحمد رضوان؟

- ولو كان مع أحمد رضوان.

- ولكنني مصممة!

فهتف بيأس:

- إني أرفض..

- أتقبل أي دور ثانوي؟

- لن يكون أفضل من الالتحاق بوظيفة عادلة.

فانزعجت وقالت:

- صارعني بما في قلبك.

- أو أن تعملني في حقلك وأن أعمل في حقلِي الأول.

فأحاطت عنقه بذراعيها وقبلت خده وقالت:

- أنت ضحية حبي !

فقال وهو يداري استياءه:

- لا مكان للعطف هنا!

فقالت بتعاب:

- ولكنني أحبك أولاً وأخيراً.

فقبل خدها أيضاً وقال:

- أصغي إليّ، لقد لفظت نفسِي الفن..

فحولت وجهها عنه في تأثر بالغ فقال:

- لم يعد يهمني في شيء.
ووصمت قليلا ثم قالت:
- ما يهم حقا هو حبنا!
- من الجنون أن نزحف إذا كان بوسعنا أن نحلق!
- ماذا تعني؟
فلم ينس. أطبق فكيه فتجلت قسوته الكاذبة. قالت:
- ما أكثر وساوسك!
فابتسم وقال:
- حذار من العطف!
فهتفت بحدة:
- لا تردد هذه الكلمة!
- سمعا وطاعة..
وهي تنهد:
- ما أتعس المواقف التي ليس لها حل!
ولكن لكل موقف مهما تعقد حلا.
- على حساب الكرامة أو السعادة أو الاثنين معا.
- هو خير من الجمود الذي يشل الإرادة.
- لا أوفقك.
فقال بضجر:
- علينا أن نسلم بأن السعادة التي حلمنا بها لم تتحقق كما حلمنا بها!

فصاحت بنبرة منذرة بالبكاء:

- أنت تهيني!

- كلامي لا يتضمن أي إهانة.

- هذا ظنك!

فقال بأسف:

- أردنا أن نركب في جسمنا المشترك جناحا فانقلب عكازا!

فقالت بحدة:

- ما أردت إلا أن أتزوج من الرجل الذي أحبه.

فقبلها بطريقة آلية وقال:

- تقبلي اعتذاري.

ثم قام وهو يقول:

- سأتمشى في الخارج قليلاً.

- في هذه الساعة من الليل؟

فقال وهو يمضي:

- في هذه الساعة يعتبر المشي دواء.

٣٦

كانوا يدخلون في سكون الليل يظلهم صمت مريع. حسني حجازي ينادي الدخان الذي ينفشه بتمهل وانسجام، وعبدة بدران يدخن سيجارة. كذلك عشماوي وهو قابع على كثب من دفء النسبة، وفي الخارج ترامت أصوات المنشدين في مولد سيدى البيومي. وجاء بيع الفلافل

يحمل رغيفاً محشوّاً تدلّى من أطرافه بعض عيدان البدونس فأعطاه عشماوي، ووقف يتظاهر النقود والآخر يلتقطها من علبة صفيح يبصره الأعمش. وفي فترة الانتظار قال له بياع الفلافل:

- تسلل رجالنا أمس إلى خطوطهم فدمروها..

فهز عشماوي رأسه باعتزاز فعاد الرجل يقول:

- وسيعقب ذلك زحف الجيش!

فقال عشماوي وهو يعطيه القروش:

- ولا تنس هجمات طياراتنا، جاء دورنا..

ذهب الرجل راضياً. ومضى عشماوي يتناول طعامه ويتمطّق بصوت مسموع تخلله قرقرة النارجيلة. والتفت عشماوي نحو حسني حجازي وقال:

- جاءوا له بعربة ذات ثلاث عجلات يقتعدها ويسيّرها بيديه، ولكنه لا يخرج بمفرده بعيداً.

لم يدرك حسني حجازي عمن يتحدث بادئ الأمر، ثم تذكر حكاية جاره البطل الذي بترت ساقاه فقال:

- عظيم.. عظيم..

وسأله عبده بدران:

- هل يمكن أن يتزوج يا عشماوي؟

- يمكن، علمت ذلك من جدته!

فقال حسني حجازي:

- زوجة تكسب ثواباً، الإنسان يعتاد أي شيء ولكنه لا يطبق الوحدة..

فقال عم عبده:

- إبراهيم يواجه الحياة بعزيمة ونجاح.

فقال عشماوي:

- إنك متعلم وذلك ميزة كبيرة.

وبصر احاته الخشنة راح يقارن بين العمى وقد الساقين ثم تأوه
 قائلاً:

- في شبابي كنت إذا اخترقت طريقاً يختفي اليهود من جوانبه..
 ولم يتمالك حسني نفسه فضحك حتى سعل. وعادوا إلى الصمت
 فترامى إليهم مرة أخرى صوت المنشدين. وهز عشماوي رأسه
 طرباً وقال:

- كنت يوماً من مريدي البيومي..

فقال له عبده بدران:

- طول عمرك مجرم ولا شأن لك بالطريقة..

فقهه العجوز ولم يعلق. وأقبل عم عبده نحو حسني حجازي كمن
 ضاق بسره، وكان الأستاذ يحسن قراءة أفكاره فسأله عما وراءه فقال:

- علیات جاءها ابن الحلال..

فأبدى الرجل سروره متممّاً:

- حقاً!

- شاب موظف، أخوه قاض كبير.

- على بركة الله.

وسكك الرجل متفكراً ومتربداً، ثم قال:

- قيل لي إنه كان مسجونا!

فتسائل عشماوي:

- هل يوظفون المساجين في هذه الأيام؟!

فاستدرك عم عبده قائلاً:

- لأسباب سياسية..

فقال حسني مخاطبا عشماوي:

- إنها لا تمس الشرف يا عشماوي.

وقال عم عبده:

- وإبراهيم موافق، ولو كانت تمس الشرف لما وافق أبداً..

فقال عشماوي:

- وأنا كنت مسجونا سياسيا مرة.

فقال عبده:

- مرة! ثم عشرات المرات لا علاقة لها بالسياسة!

- إن أردت الحق فالمخدرات كالسياسة لا تمس الشرف!

- فلنسلم بذلك، والضرب والاعتداء؟

فقال بفخار:

- فتونة ومجدعة!

فهتف ضاحكاً:

- عليك اللعنة!

فقال عشماوي وهو يضرب كفا على كف:

- ماذا جرى للدنيا؟! نسوان عرايا في الشوارع، مساجين موظفون،
ويهود غزاة!

ورجعوا إلى الصمت وسماع الأناشيد..

٣٧

كانت عليات تعمل بالوزارة عندما زارتتها - بلا سابق معرفة - إحدى العاملات في محل سمراء وجدي. أخبرتها أنها تعبت كثيراً قبل أن تعثر على مكانها ودعتها إلى مقابلة سمراء في محلها بشارع شريف. انقبض قلب عليات. إنها لا تنسى فضل سمراء. وسبق أن زارتها في المحل للشكر. ولاحظت أنها راغبة في توثيق علاقتها بها بحرارة غير عادية وبأسلوب أثار في نفسها الريب. لذلك لم تفكر في زيارتها مرة أخرى. وانقبض قلبها إزاء دعوتها الجديدة - إنها حزمة من المتناقضات، فهي نبيلة المظهر متبرفة عن المال، ولكنها ذات خبرة فاجرة وعلاقة حميمة بذلك الدكتور التي تشبه عيادته مشرحة الجثث. ومضت ذاك المساء إلى حسني حجازي وقصت عليه قصة الدعوة وجملة وساوسها. وارتبت
الرجل بادئ الأمر، ثم قال ببساطته المعيبة أحياناً:

- سمراء مغرمة بك!

ليس من الممكن أن تحمل قوله على محمل آخر رغم قابلية لأكثر من معنى فارتاعت حقاً، ولكنها تغابت وسألته:

- ماذا تعني؟

- أنت تفهمين تماماً ما أعنيه.

فقطبت وزمت شفيتها فسألها برقه:

- ألم تكن لك تجربة في ذلك؟

فقالت بتقزز:

- كلا.

- إذن ستنشأ متاعب!

فتمتمت بخوف:

- متاعب؟!

حدثها بإيجاز عن تاريخ سمراء وجدي وحاضرها، ثم قال:

- إنها عالم من التعasse والمغامرة والمتعة..

فقالت بقلق:

- لن أذهب.

ثم بتسلل:

- أنت قادر على تجنبني أي شر.

فقال لها بعطف:

- سأحاول ولكنني لست واثقا من النتيجة..

ولم يتخل عن مسئوليته فدعا سمراء. قدم لها الشراب ممزوجا بمزاجه العذب وهي تراقبه طيلة الوقت بنظرة ثاقبة من خلال أهدابها الطويلة، ثم قالت له بذكاء:

- ادخل في الموضوع بلا لف!

فضحلك عاليا وقال:

- صاحبتك ليست من أهل ذلك.

- لم تلبي دعوتي.
- جاءتنى أنا.
- صارتتها؟
فقال برقة متوددة:
- ليست من أهل ذلك وهي شارعة في الزواج فاصرفني عنها النظر!
فاجتاحتها موجة عاتية من الهياج وهتفت:
- الخنزيرة!
- سمراء!!
- إنني إذا غضبت.
- لا داعي للغضب.
- دع تقدير ذلك لي أنا.
فداعب ذقنها بأصابعه وهو يسأل:
- وهل بالقوة يمارس الإنسان ما لا يحب?
- الخنزيرة، هل نسيت?
- سمراء. عليات كانت تجربة مريرة مثلك، وهي شارعة الآن
في الزواج.
- لن تتزوج!
فهاه القرار وقال:
- لست قاسية ولا شريرة.
- إذن فأنت لم تعرفي بعد.
- ولكن ماذا تنوين يا عزيزتي؟

- سأطلع خطيبها على حقيقتها.

فهتف:

- لا.

- بلـى.

- لا أصدق.

- سوف ترى.

فأسكتته الهزيمة مليا ثم قال:

- لقد تركت معدبك الأول يمرح بلا عقاب!

- كنت غرة.

وتحول حسني عنها في يأس ومضى نحو البار.

٣٨

اختفى مرزوق أنور فلم يعثر له أحد على أثر. فعل فعلته واختفى. قضى على نفسه بحبس شبه انفرادي في بنسيون بحلوان. ومن محبسه تابع أخباره في المجالات الفنية. أخبار طريفة حقا. مرزوق يهرب من بيت الزوجية ويرسل إلى فتنة ناصر وثيقة الطلاق ورسالة مؤثرة، فتنة تنهار عصبياً ويعودها الأطباء، فتنة تبحث عن مطلقها في مظانه فلا تقف له على أثر. وتمضي فترة تخفت بعدها الأصوات وتنداح الحادثة في خضم الحادثات. وتمضي فترة أخرى ثم ينشر خبر عن قبول فتنة العمل في فيلم جديد من إخراج أحمد رضوان. وقال مرزوق لنفسه: إنه كالميت، ولكن أتيح له ما لم يتع لميت من قبل وهو أن يشهد ما خلفه

وراءه من وجود وعدم. وقال أيضاً بأنه لم يكن أمامه إلا إحدى اثنتين، فإما حياة كلب أمين أو قواد. ولما استقر كل شيء في موضعه رجع إلى أهله وقرر السعي إلى الالتحاق بوظيفة.

وما تدري عليات يوماً - وهي في مكتبها - إلا وهو يفاجئها بزيارة. تطلعت إلى وجهه نصف دقيقة كأنما هي في شك من هويته. جرحة ذلك حتى أدماه. وقال لها:

- لم يكن مفر من حضوري.

ولم تفهم مراده، ووضّح له أنها برمّة بزيارته، ولكنه قال:

- أود أن أعذر لاستطيع مواصلة الحياة.

فتمالكت مشاعرها وقالت:

- لا أهمية لذلك.

جلس بدلاً من أن يذهب وقال:

- فلتتناول غداءنا معاً لأقول كلمتين.

فقالت ببرود:

- لا معنى لذلك البتة.

- إبني مُصرّ.

ولمست فيه حالة مخلخلة تقتضي الملاينة فوافقت. ذهباً إلى الكورسال القديم فتناولوا غداء بلا استطعام ثم طلب قهوة، وأشار إلى وجهه وهو يقول:

- هذا ما آل إليه حالـي.

فمسحت بارادتها أي ظل للتعبير وتممت:

- سوء حظ حقاً ولكن يمكن قهره والانتصار عليه.

- شكرًا.

- لا داعي لل Yas مطلقاً، تذكر مثال أخي إبراهيم.

ففكر شكرها. وشعر بمناعة تطوق روحها كالحصن فجعل يفكـر
صامتاً ثم قال:

- لا شك أنك غاضبة علىـّ.

فقالت ببساطة صلبة:

- مضى ذلك وانقضـى.

فقال باسمـا باسمـة لا معنى لهاـ:

- ذلك أدهـى وأمرـ.

فلاذـت بالصـمت، فقالـ:

- نـركـب أحـيانـا جـرـائمـ تحتـ سـيـطـرةـ جـنـونـ لاـ معـنىـ لـهـ.

فقالـتـ مـعـترـضـةـ:

- بلـ لـهـ معـنىـ.

فقالـ بـلـهـجـةـ تـعلـمـهـاـ منـ التـمـثـيلـ، رـغمـ صـدقـهـ:

- قـلتـ لـنـفـسيـ لـعـلـ ماـ نـالـنـيـ مـنـ عـقـابـ يـشـفعـ لـيـ فـيـ الغـفـرانـ.

- لاـ أـدـريـ عـمـ تـكـلـمـ.

فترـدـ مـلـياـ، ثـمـ تـسـاءـلـ:

- هلـ أـطـمـعـ فـيـ غـفـرانـكـ؟

- لاـ أـدـريـ عـمـ تـسـأـلـ.

- لـكـنـهـ وـاـضـحـ.

- لم يعد لذلك أهمية.
- ولكنه بالنسبة إلى هو كل شيء.
- أكرر بأنه لم يعد لذلك أهمية.
- فالتمعت عيناه ببريق أمل وقال:
- لعله يفتح لنا صفحة جديدة؟
- فقالت بحزن:
- أي صفحة جديدة؟
- لكنك تفهمين قصدي تماما.
- فقالت بنبرة قاطعة:
- لا تضيع وقتك سدى.
- أصغي إلى..
- أرفض مجرد التفكير في ذلك.
- لننتظر حتى يهدأ غضبك.
- لست غاضبة. صدقني، ولكني أستعد لصفحة جديدة أخرى.
- وأرته دبلة خطوبتها. فتمت:
- حقا؟
- سأتزوج في وقت قريب.
- وساد الصمت حتى تسأله:
- أهو رأي نهائي؟
- طبعاً.

وَقَامَتْ وَهِيَ تَقُولُ:
- آنَ لِيْ أَنْ أَذْهَبْ.

وَمَضَتْ وَحْدَهَا. وَجَدَتْ فِي قَلْبِهَا ارْتِياحاً شَامِلاً وَشَعُوراً بِالتحرر
وَالنَّصْر. وَمِنْ أَمَارَاتِ التَّوْفِيقِ أَنَّهَا لَمْ تَضْمُرْ نَحْوَهُ كَراْهِيَّةً وَلَا حَنْقاً وَلَا
شَمَاتَةً، فَقَالَتْ لِنَفْسِهَا: مَاتْ تَماماً فَمَا أَعْجَبْ ذَلِكَ.

٣٩

كَانَتْ عَلِيَّاتْ تَجَالِسْ حَامِدْ فِي دَارِ الشَّايِ الْهَنْدِيِّ وَإِذَا بِسَمِرَاءِ وَجْدِي
تَظَهَرْ فَجَأَةً فَتَقَفَّفَ عَنْ طَرْفِ الْمَنْضَدَةِ بَيْنَهُمَا. بَهَتَتْ عَلِيَّاتْ وَاخْتَفَى الدَّمْ
مِنْ وَجْهِهَا. وَدَهَشَ حَامِدْ وَجَعَلْ يَرْدَدُ عَيْنِيهِ بَيْنَهُمَا وَهُوَ لَا يَفْهَمْ شَيْئاً.
وَهُمْ بِالْكَلَامِ وَلَكِنَّهَا سَبَقَتْهُ فَقَالَتْ مُخَاطِبَةً عَلِيَّاتْ وَرَائِحةُ خَمْرٍ تَرَدَّدَ
مَعَ أَنْفَاسِهَا:

- أَنَا عَنِيدَةٌ كَمَا تَرَيْنِ..

فَتَسْأَلُ حَامِدْ:

- مَا الْخَبَرُ؟

فَقَالَتْ لِهِ سَمِرَاءِ:

- ادْعُنِي أَوْلَا لِلجلوسِ كَمَا يَقْضِيُ الذَّوْقُ.

وَرَأَى فِي مَوْقِفِ الْمَرْأَةِ خَطْرَا خَفِيَا يَهْدِدُ سَلَامَتَهُمَا فَقَالَ:

- وَلَكِنِي لَمْ أَتُشَرِّفْ بِمَعْرِفَتِكَ.

فَجَلَسَتْ وَهِيَ تَقُولُ مُتَحَدِّيَّةً:

- هَا أَنَا أَجْلِسُ بِلَا إِسْتِئْذَانَ.

وضحكت ضحكة تعتبر مزعجة في وقار السكون فقال حامد:
- تصرف حضرتك غير لائق..

فقالت ساخرة:
- ولكن خطيبتك تعرفني وقد جئت لأشكوها إليك.

قال متأثراً بتضعضع عليات:
- ما زلت أعتبر تصرفك غير لائق.

فتجاهلت احتجاجه وقالت:

- أشكوا إليك فتاتك فقد قدمت لها خدمة لا تقدر بمال فلم أتل منها إلا الجحود..

همت عлиات بصفتها، ولكنها خافت من تفجر مضاعفات مجهرة،
جبت فعجزت حتى عن الكلام وتساءل حامد بغضب:

- ماذا تريدين؟

فقالت سمراء بتحذير فاجر:

- نتكلم أولاً عن الخدمة وسأترك لك تقدير الثمن.
تمتمت عليةات:

- مجرمة، أنت مجرمة..

وضحكت سمراء بقسوة وقالت:

- الله يسامحك.

قال حامد بحقن:

- من فضلك، أنا لا أسمح...

فقطعته بحقيقة:

- تصور فتاة من أسرة شعبية، اضطربت أحشاؤها بجنين سهوا وهي...

فقط عها بغضب:

- اذهب من فضلك.

فواصلت حديثها:

- كيف تتصور بؤسها؟ وكيف تقدر صنيع من يخلصها من الجنين
ويرد إليها شرفها؟

وجعل حامد يشير إليها بأصبعه مهددا وقد أعجزته انفعالاته عن
النطق، ثم قال:

- من الأفضل لك أن تذهبي ..

- تهددني؟

- نعم.

فسألت علیات متهكمة:

- ما رأيك يا علیات؟

لم تنبس علیات. وغلب الغضب والانفعال حامد فخرس. واريد
وجهه بألوان قاتمة.

وضجع أن عاصفة عاتية اجتاحته. وأمنت سمراء بأنها أصابت الهدف
 وأنها أنهت مهمتها على خير وجه. وهمت بالقيام تحت تأثير خوف
طارئ. ولكن حامد اجتاز أزمته. كبح انفعالاته. مرق منها باردا صلبا
عنيدا. سأل المرأة:

- أنت التي قمت بتلك الخدمة؟

فهزت رأسها بالإيجاب فسألها متهديا:

- علیات؟

فهزت رأسها مرة أخرى. فقال وقد سيطر على أعصابه تماما:

- أنا مدين لك بالشکر، أي ثمن تطلبین؟
فتفحصته باهتمام لترى لأي درجة هو جاد أو غاضب، فعاد يسألها
بهدوء:

- ماذا تطلبین؟
فداخلها اضطراب وحيرة فقال:
- يبدو أنك لا تريدين شيئاً، وعلى ذلك فأرجو أن تخلي لنا الجو
لنوصل حديثنا!
وقد أتت متعثرة بالحيرة ثم مضت في عصبية.

أنسنت عليات رأسها إلى يدها وأغمضت عينيها في إعياء موشكة
على الانهيار الكامل.

ونظر إليها في صمت وحزن. وشعر بالعاصفة في قلبها فمال نحوها
بعطف وقال:

- أقترح أن نسير في الهواء الطلق.
رفعت رأسها وقالت باستسلام يائساً:
- حامد...

فقطاعها بلطف:
- لا داعي للكلام، نحن في حاجة إلى الهواء الطلق.

٤٠

كان حسني حجازي يعاني قلقاً في باطنه بخلاف عادته في مجلس
الليل الهدى بالانشراح. أطلق كامن قلقه في النارجيلة فمضى يأخذ

أنفاساً متابعة حتى اشتعلت الجمرات واحترق التبغ نافثاً رائحة فظة.
وتوقع طيلة الوقت أن يروح عم عبده بدران عن حزنه فيعلنه بفسخ خطوبة
عليات. وها هو يقف مستنداً إلى غطاء الجدار الخشبي، يدخن سيجارة،
ونظرته الثقيلة المعتمة ثابتة كأنه موشك على النعاس. لعله يتحين الفرصة
لبيوح بهمه، وعند ذاك سيجد هو نفسه في صميم مأساة لأول مرة. وكان
عشماوي مقرضاً قرب النسبة. لا يثرثر كعادته، لوعكة برد ألمت به،
فيبداً كعجز يحضر. وتجنب النظر ناحية عم عبده. وشم الرجل رائحة
التبغ المحترق فاقترب قائلاً:

- هل أبلل لك التبغ؟

فانتبه حسني لمعاملته العصبية للنارجيلة وقال له:

- غيره..

ومضى الرجل بالنارجيلة فجدد التبغ ثم رجع بها بتبغ جديد كسيكة ذهبية. وقال:

- زارنا مرزوق أنور مع سنية وإبراهيم!

فأنس حسني خيراً وقال بحماس مفاجئ:

- ياله من جريء!

- واعتذر، وهنأني على خطوبة عليات الجديدة.

- المسامح كريم.

- وجد وظيفة في مؤسسة النقل وسيكمل تعليمه للحصول على شهادة بعد الليسانس.

فقال حسني وهو يوغل في الارتياح:

- جميل أن يجدد الإنسان حياته..

- وأصبح أمله الأول والأخير أن تناح له الهجرة يوماً ما.
- الهجرة موضة هذه الأيام الغربية.

وقال لنفسه إن عاليات بخير، وإن سهم سمراء قد طاش. وشعر بامتنان نحو العقليات التي تتجدد وتتجاوز الزمن. وتشجع فسأله:
- وما أخبار عروستنا؟

فقال عم عبده:

- الخطيب يرحب في الزواج في أقرب فرصة.

- على خيرة الله!

فقال الرجل بأسف:

- لا أستطيع أن أقدم لها شيئاً ذا بال.

- لا أهمية لذلك.

وترامت إليه حركة عند الباب. التفت فرأى سمراء وجي واقفة كتمثال. نظر إليها عم عبده أيضاً بدهشة. ورفع عشماوي رأسه وضيق عينيه ثم فغر فاه. ارتج قلب حسني ووقف شعره. وتمتم وهو لا يدرى:
- غير معقول!

ألقت عليه نظرة باردة مهددة، ثم حولت عنه رأسها بتحد. نظرت إلى عم عبده بدران وتساءلت:

- عم عبده بدران؟

ذهل الرجل. أقبل نحوها ملبياً في أدب، ومتأثراً غاية التأثر بمظهرها الأنique الفاخر، ثم قال:
- أفندي؟

مضت إلى ركن المقهى الأقصى فتبعها على الفور. شدت إليها الأ بصار. خمن حسني حجازي ما وراء مجئها بفزع. وتذكر وهو يختنق أنها استدللت على المكان بإرشاداته التي وردت ضمن حديثه بلا قصد. إنه محور الرحى التي تطحن مجموعة من البشر لم يكن لها طيلة حياته إلا المودة. وثمة شر يوشك أن يحيق بالجميع ولكن بأي حكمة يمكن دفعه؟ التدخل من ناحيته يعني افتضاح أمره، وسيؤدي في النهاية إلى هتك الستر عن البيت السحري. ولكن ينتفي الخطر إذا التزم بموقف المشاهد؟! وتملص من الشلل أو هكذا خيل إليه. فتح فاه وقال محدرا:

- إنها امرأة مجنونة ومحمورة!

ولكن أحد المسمعين. لم يخرج الصوت من فيه. خذله قواه فاحتواه العجز. لم تتحول عيناه عنهم. أرهف السمع ولكنه لم يسمع حرفاً مما يقال. المرأة تهمس والرجل يصغي باهتمام شديد. وعشماوي ينظر ويصغي ولكن دون جدوى. وتراجح المجلس بحسني حجازي وغاصب في باطن الأرض. وطار عشه السحري في الهواء على أجنة الزبانية. رکز بصرها على وجه عم عبد بدران. ها هو يصغي وتحرك شفاته أحياناً.وها هي نظرته الثقلة تزداد قتامة. ها هو يقطب ويحتاج وجهه موجة سوداء. تراجع رأسه إلى الوراء كأنما تلقى لكمه ثقيلة. سقطت السيجارة من يده. قدحت عيناه شرراً. ندت عنه آهة ذبيحة محشرجة. ترنح كالشمل. وفجأة انقض على المرأة يقبض على عنقها بكلتا يديه وشد عليها بكل قوته. وفزع حسني فصاح:

- لا..

قام كالمجنون فارتطم ركبته بالنارجيلة فألقت بها على الأرض وقام عشماوي وهو يتساءل:

- ماذا جرى؟!

هرعا نحو الرجل وحسني يتسلل إليه:

- انتبه لنفسك يا عم عبده..

ولكن الرجل لم يفك قبضتيه الفولاذيتين حتى كانت المرأة

جثة هامدة..

٤١

هل خنقت هذه المرأة؟

- نعم.

- لماذا خنقتها؟

.....

- لماذا خنقتها؟

.....

- ما علاقتك بها؟

- لا أعرفها.

- أنتقول إنك لا تعرفها؟

- لم أرها قبل هذه الساعة المشئومة.

- فلماذا خنقتها؟

.....

- خنقتها بلا سبب؟

.....
- ماذا قالت لك؟

.....
- الصمت معناه أنك تجود بعنقك لحبل المشنقة.

.....
وأصر عم عبده بدران على الصمت.

ومن خلال شهادة عشماوي تجسدت صورة لظهور سمراء المفاجئ.
وتطلعها إلى عم عبده بدران وهي تسأله: «عم عبده بدران؟»، وقول
الأستاذ حسني حجازي: «غير معقول»، ثم ذهاب المرأة وعم عبده إلى
الركن الأقصى، وحديثهما الذي لم يسمع منه حرف، ثم الجريمة التي
لم يستطع منعها أحد.

- أنادت عم عبده أم تسأله عنـه؟

- نظرت إليه وتسألهـ: «عم عبده بدران؟».

- إذن فلم تكن تعرفهـ؟

- هو ذلك والله أعلم.

- أليس لديك فكرة عن كيفية مجبيـتها إـليـه؟

- كـلاـ.

- ولا عـما دار بينـهـما من حـدـيثـ؟

- لم أسمـعـ حـرـفاـ.

- ما مـدىـ عـلـمـكـ عـنـ عـلـاقـاتـ صـاحـبـكـ بـالـنسـاءـ؟

- أـسـتـغـفـرـ اللـهـ، إـنـهـ رـجـلـ طـيـبـ مـحـمـودـ السـيـرـةـ وـمـسـكـينـ..

- كيف تفسر ارتكابه للجريمة؟
- لا أدرى، إنه لم يقتل دجاجة في حياته، والعلم عند الله.
- لم قال الأستاذ حسني حجازي «غير معقول»؟
- لا أدرى، ولكن مجىء امرأة جميلة إلى الانشراح بعد متتصف الليل أمر غير معقول.
- لعله كان يعرفها من قبل؟
- لم يتبادلا كلمة واحدة والعلم عند ربك.
- ولم تأت شهادة الأستاذ حسني حجازي بجديد عن مضمون الحادثة.
- وقد سأله المحقق:
- لم قلت «غير معقول»؟
- كان مجيتها إلى الانشراح في تلك الساعة غير معقول.
- ألم ترها من قبل؟
- بلى، أعرفها معرفة عامة فهي صاحبة محل تجاري في الشارع الذي أسكن فيه.
- هل لك أن تحدد لي نوع معرفتك بها؟
- معرفة عابرة ليس إلا.
- ولكنكم لم تتبادلا ولا تحية عابرة؟
- توقعت ذلك ولكنها تجاهلتني تماما.
- ما تفسير ذلك في نظرك؟
- لعلها كانت مستغرقة بالمهمة التي ساقتها إلى المقهى.
- وماذا تعرف عما كان بينها وبين عم عبده؟

- لا شيء أبلغته.

- وماذا دار بينهما؟

- لم أسمع حرفًا.

- ما تفسيرك للجريمة؟

- إنها مذهلة ولا تفسير لها عندي.

- ما هي معلوماتك عن القتيلة؟

- لا علم لي بدخائلها.

- ما تفسيرك لصمت المتهم؟

- إنه لغز ولا تفسير له عندي.

٤٢

رجال الشرطة شياطين. وهم يملكون جحيم الأرض وينفثون النيران في الوجوه الشاحبة. يطرقون الأبواب بأيدٍ آلية كالأحباب ثم يفتحون البيوت كالاعاصير. ويقف الكهل بين أيديهم مجرداً من الكرامة فيفترس الخوف قلبه ويوقن بأن الحياة وهم وضياع. وينقبون الجدران والخشبات والجيوب والخزائن فتلاشى المسرات والأخيلة. عند ذاك يسير بينهم بلا أرجل، بلا أعين، بلا غد، تطن في أذنيه هممة مغلفة باللعنات، وإن يتبقى له رقم فسير دد بصوت محشّر: لقد انتهيت.

- اسمك؟

- حسني حجازي.

- عمرك؟

- خمسون عاماً.

- مهنتك؟

- مصور سينمائي.

- أتعترف بأنك مالك هذه الأشرطة السينمائية؟

- أجل.

- وأنك عرضتها على عشرات من البنات القاصرات؟

- أجل.

- وأنك مارست معهن الجنس؟

- أجل.

- ألا زلت عند قولك عن علاقتك العابرة بسمراء وجدي؟

- كلام، أتعترف بأنها كانت صديقة قديمة.

- وكانت تجيئك بالبنات لمشاهدة أفلامك الجنسية؟

- أجل.

- وما علاقتك بعمليات ابنة المتهم عبده بدران؟

- كانت صديقة.

- ألم تكن يوماً عشيقتك أيضاً؟

- بلـى.

- أتعترف بأنك يسرت لها الإجهاض؟

- بلـى.

- كيف؟

- استعنت بسمراء وجذى.

- وهل اعترفت لك سمراء بأنها عشقت عليات؟

- نعم.

- هل استعانت بك لتحقيق رغبتها الآثمة؟

- نعم، ولكنني حاولت صرفها عنها.

- أأرشدتها إلى مكان عم عبده بدران؟

- سألتني عن مكان عملها فقلت لها إني أجهله بالتحديد وإن كنت أعرف أنها موظفة بالشئون، وقلت لها أيضا إن علاقتها بي منقطعة تقريرا وإنني لا أعرف أخبارها إلا عرضا وفي مفهوى الانشراح حيث يعمل والدها نادلا به، ولم أكن أتصور أنها ستقوم بزيارتها الغريبة التي انتهت بمصرعها.

- ولم قامت بزيارتها الغريبة؟

- كانت مصممة على الانتقام من عليات لعدم إذعانها لرغبتها الآثمة، فانقضت عليها وهي جالسة مع خطيبها وأخبرته على مسمع منها بحكاية الإجهاض، ولما خاب المسعى ولم يصب الهدف، أعادت التجربة مع الأب فقتلتها.

- أعتقد أن ذلك هو الباعث الحقيقي وراء جريمة عم عبده؟

- ولا باعث غيره في رأيي.

- ألديك أقوال أخرى؟

- كلام.

كان حسني حجازي ينطلق بسيارته في أطراف المدينة عند الفجر. توقدت أعصابه فقضت على أيأمل في النوم. وطاردته أشباح التخيلات

طيلة الوقت. ستُجري التحريات حول سمراء وجدي وستكتشف عاجلاً عن عالم حافل بالجنون والغرائب. إنه خبير بهذه الأمور. سرعان ما يعرف كل شيء. وسيجر التحقيق العشرات من البنات والفتيات. وقريباً تجتاح العاصفة العاتية عشه السحري السعيد ويُكلّه القيد الحديدي. ماذا يوجد في بيت سمراء وجدي من صور وأرقام تليفونات وأسماء، ترى هل تدون مغامراتها في مذكرات؟ هل يدعى إلى التحقيق؟ هل يزج به في السجن؟ هل يتصرّ؟ هل من مخرج؟

٤٣

اجتمعت عليات وحامد في دار الشاي الهندي. كانت منهوكة الأعصاب دائمة العينين. واستعan هو بقواه الكامنة ليواجه الموقف ولكنه كان يعيش بوجوده في جو مليء بالمخاوف المجهولة. وجعلت تردد:

- أبي.. أبي.. يجب إنقاذه.

- هذا هو المأمول حقاً ولكن كيف؟

قالت مصممة:

- بأي ثمن.

- سنبذل ما نستطيع وفوق ما نستطيع.

- نحن نعرف كل شيء.

- أجل.. وهو مصر على الصمت صوناً لسمعتك.

فقالت وهي تكتم انتقامتها:

- لن أتخلى عنه.

- لن نتركه لينال عقوبة رهيبة لا يستحقها..

فرنت إليه بنظرة دامعة وقالت:

- ذاك يعني أن نشهد بما نعلم.

- لا مفر من ذلك.

- ولكن هل يصدقوننا؟

- من رأيي أن نعهد بالقضية إلى الأستاذ حسن حمودة وأن نشاوره في الأمر قبل أن ندلي بشهادتنا.

- طيب.

- فالطريق واضح.

فغضضت على شفتتها وتممت:

- سيعلن السر على الملا.

- أجل.

- وستنشأ مصاعب ومتاعب.

قال بإشفاق:

- ربما.

- إني أضحي لإنقاذ أبي، ولكنني سأجرك معى..

قال محتاجاً:

- لا أوفق على طريقتك في التفكير.

- الحق أني لا أريد أن أحملك فوق ما تستطيع.

وكان قلبه ينقبض حيال العواقب المتوقعة، ولكنه قال:

- هذا شأنى أنا.

فقالت وهي تخفض رأسها:

- أنت في حل من ...

فقطاعها بحزن:

- علیات! ما هذا الهراء؟!

استجمم إرادته ليسحق ترددك. غاص قلبه في هاوية. سخر من مخاوفه
واحتقرها.

قذف بنفسه في تصميم صلب. قال:

- لن أتخلى عنك.

٤٤

لأول مرة تغرق الحجرة في كآبة شاملة. وكان حسني حجازي وعلیات
يجلسان متقابلين ومتقاربين يتبادلان نظرات جافة باردة كنظارات أصنام
الآلهة والحيوانات فوق الأرفف. ولأول مرة تتخلى عن الرجل روح
الدعابة والشمول فتطحنه أشياء مجهمولة تطبق على الحجرة من عالم
مجهول. قال لها:

- سألت عنك في كل مكان.

فقالت بنبرات ميتة:

- كنت قادمة بنفسي على أي حال.

نفذت إجابتها إلى أعماق روحه فقال بقلق:

- دائماً في خدمتك.

- نصحت أن أوكل الأستاذ حسن حمودة المحامي.
فضغط حسني على جناحي أنفه بأصبعيه متأملاً ولكنه قال:
- إنه حجة في الجنائيات!
فانخفض صوتها قليلاً وهي تقول:
- يقال إن أتعابه باهظة!
فتنهد بارتياح وقال:
- ستجدين تحت أمرك كل ما يلزمك.
- لا أدرى كيفأشكرك.
فتناول يدها بين يديه وتساءل:
- عليات، ألم أكن دائماً نعم الصديق؟
فأحنت رأسها بالإيجاب. انحدرت من عينيها دمعة فاستقرت فوق
ركبتها. قال:
- لي عندك رجاء.
- ما هو؟
فسكت دقيقة كاملة، ثم قال:
- ألا تذكرني أسمى سواء عند المحامي أو في التحقيق.
فقالت وهي تجفف عينيها:
- لا أهمية لذلك فيما أظن.
فقال وبهجة من الأمل تشيع في نفسه:
- عين الصواب، فهو لن يقدم فائدة ولكنه سيضرني كما تعلمين.
- لن أفعل ما يضرك.

- شكراء، ممكّن أن تقولي إنك عرفت سمراء في محلّها التجاري.
وإنها حاولت أن تنشئ معك علاقة شاذة فرفضت، ومن ثم أرادت أن
تنقّم منك إلخ.. إلخ.

- هي الحقيقة في جوهرها.

فقبّل يدها وقال:

- توكلني على الله ولا تحملني للنقدود هما.

وللمدة دقائق - عقب ذهابها - شعر بأنّ الهم قد انحاب عن قلبه وبأنّ
تيار الحياة يتدفق من قلبه نشيطاً مهلاً. أنجوت حقاً؟ إنّ أكّن نجوت فلن
يمسّبني الضرّ مدى الحياة. ولكن لم تدم تلك الحال طويلاً. وئدت بلا
إنذار. عاد عقله يعمل ويفرز سموّمه المنطقية. ما أهميّة وعد علیات؟ وما
قدرتها على الإفلات من حصار الاستجوابات؟ وهل تجدي شهادتها
إن لم تدعم بشاهد عيان مثله كان محور الأحداث ومحركها؟ وهناك
أيضاً التحرّيات التي تنشط في كلّ مكان الآن مثل الذئاب الجائعة.. لا..
لا.. لا أمان. عليه أن يهرب. في أول فرصة. ثمة وعد سابق بتصوير فيلم
لبناني فليطلب السفر فوراً وقبيل أن يذكر اسمه في التحقيق. سيستقر في
لبنان إلى الأبد. لا حياة له في هذا البلد.

الوداع يا مصر..

٤٥

يا لها من مفاجأة! أحقّ تقع هذه الأمور في الحياة؟ وأن يدعى - هو
للدفاع عن قاتل سمراء وجدي؟ نقل بصره بين علیات وحامد مخفيا
انفعالاته وراء قناع بارد من التجدد. وقال:

- قرأت ما نشر عن الجريمة في الصحف ففكرت طويلا في سر
صمت المتهم.

فقال حامد:

- نحن نعرف الأسرار كلها.

فقال الأستاذ بعجلة:

- معدرة، احتفظ بها، فإنني لم أقبل القضية بعد.

فقالت عليات:

- ولكنك ستقبلها طبعا؟

آه. سمراء وجدي. ترى لم قتلها الرجل؟ لفضيحة ما ولا شك.
وسوف يقتضي الدفاع عنه النيش في ماضي الفتاة والكشف عن فضائحها
والتشهير بها فهل يقوم هو بذلك؟ وهل يستبعد في تلك الحال أن ينبرى
شخص مجهول لهتك سره المنطوى وتعرية الدور الفاضح الذي لعبه
في حياة الفتاة؟

ولم يتردد فأجاب:

- آسف يا آنسة، لا وقت عندي ألبته..

فهتفت عليات:

- ولكنك لن تتخلّى عنا؟

- الأمانة تقتضي أن أتخلّى، ولكنني سأعهد بها إلى زميل معروف لا
يختلف في تقديره اثنان!

- ولكننا قصدناك أنت!

فقال بلهجة مؤدبة ولكن نهائية:

- الأمانة وحدها التي تمنعني.

وهمت عليات بالكلام فمال حامد نحوها قائلاً:
ـ علينا أن نصدقه ونشكره، إن هي إلا عثرات في الطريق ولكنه بات
ممهدًا لما نأمله..

ولدى انفراد حسن حمودة بنفسه تمزق قناع الهدوء الذي تخفي خلفه. غاصل في مقعده وراح ينظر إلى السقف الأبيض بعينين ذاهلتين. لاحت له مخاوف غريبة كأشباح راقصة. وركبه إحساس لا معقول بأنه مطارد. ووُثب من مجلسه كأنما هو المسئول عن ضعفه وراح يتمشى في الغرفة ويقول بصوت مرتفع ليطرد الأشباح:

ـ محض أوهام، تاريخ ميت، الميت لا يبعث!

وكره الوحدة فغادر المكتب. استقل سيارته وجري بها على غير هدى ساعة ثم هفا قلبه إلى لقاء صفتون مرجان فوجهها إلى شارع أحمد شوقي بلا ميعاد سابق. وجد الأستاذ منفردا في الفراندا بشخص غريب لم يره من قبل. هم بالانصراف، ولكن صفتون دعاه إلى العجلوس فجلس وهو يسائل نفسه: متى يستطيع أن يروح عن صدره ويفضي بانفعالاته إلى صديقه. وقام صفتون بالتعرف بين الرجلين. وقدم الغريب قائلاً:

ـ أبو النصر الكبير من رجال المقاومة الفلسطينية.

فانفجر في صدر حسن حمودة بركان من اللعنات. لم يكن من الذوق أن ينصرف فبقي على رغمه وهو يتلظى. وقال له صفتون:

ـ طبعاً سمعت بقبولنا المبادرة الأمريكية؟

فأجاب بفتور:

ـ أجل.

ـ كنا نناقشها.

فقال بلا مبالاة:

- معدنة، سأشرب كأسا لأنني مرهق.

أما أبو النصر الكبير فقال يواصل حديثه الذي قطعه مقدم حسن حمودة:

- ولكن للمسألة وجها آخر، فالقضية ممتدة في الزمن وليس بقضية هذا الجيل وحده، ولا بأس أن يتقرر في لحظة زمانية ولضرورة أقوى منا مؤقتا التضحية بمجموعة باسلة من العرب في سبيل صالح العرب ككل، ولكن الكلمة النهائية ستظل سرا مقدسا في طوايا الغيب، كما سيظل ميلادها رهنا بالإرادة، فإما نموت موتا غير مأسوف علينا، وإما نحيا حياة كريمة كما ينبغي لنا..

تدفق الكلام من فيه هادرًا كالموح.

وتابعه حسن حمودة بأعصاب متوترة، عيناه مغمضتان وكأسه في

قبضة لم يبق بها إلا ثمالة.

أعمال نجيب محفوظ

١٩٣٢	ترجمة	١ - مصر القديمة
١٩٣٨	مجموعة قصصية	٢ - همس الجنون
١٩٣٩	رواية تاريخية	٣ - عبث الأقدار
١٩٤٣	رواية تاريخية	٤ - رادوبيس
١٩٤٤	رواية تاريخية	٥ - كفاح طيبة
١٩٤٥	رواية	٦ - القاهرة الجديدة
١٩٤٦	رواية	٧ - خان الخليلي
١٩٤٧	رواية	٨ - زقاق المدق
١٩٤٨	رواية	٩ - السراب
١٩٤٩	رواية	١٠ - بداية ونهاية
١٩٥٦	رواية	١١ - بين القصرين
١٩٥٧	رواية	١٢ - قصر الشوق
١٩٥٧	رواية	١٣ - السكرية
١٩٦١	رواية	١٤ - اللص والكلاب
١٩٦٢	رواية	١٥ - السمان والخريف
١٩٦٢	مجموعة قصصية	١٦ - دنيا الله
١٩٦٤	رواية	١٧ - الطريق
١٩٦٥	مجموعة قصصية	١٨ - بيت سمع السمعة
١٩٦٥	رواية	١٩ - الشحاذ
١٩٦٦	رواية	٢٠ - ثرثرة فوق النيل

١٩٦٧	رواية	٢١ - ميرamar
١٩٦٧	رواية	٢٢ - أولاد حارتنا
١٩٦٩	مجموعة قصصية	٢٣ - خمارة القط الأسود
١٩٦٩	مجموعة قصصية	٢٤ - تحت المظلة
١٩٧١	مجموعة قصصية	٢٥ - حكاية بلا بداية ولا نهاية
١٩٧١	مجموعة قصصية	٢٦ - شهر العسل
١٩٧٢	رواية	٢٧ - المرايا
١٩٧٣	رواية	٢٨ - الحب تحت المطر
١٩٧٣	مجموعة قصصية	٢٩ - الجريمة
١٩٧٤	رواية	٣٠ - الكرنك
١٩٧٥	رواية	٣١ - حكايات حارتنا
١٩٧٥	رواية	٣٢ - قلب اللبل
١٩٧٥	رواية	٣٣ - حضرة المعترم
١٩٧٧	رواية	٣٤ - الحرافيش
١٩٧٩	مجموعة قصصية	٣٥ - الحب فوق هضبة الهرم
١٩٧٩	مجموعة قصصية	٣٦ - الشيطان يعظ
١٩٨٠	رواية	٣٧ - عصر الحب
١٩٨١	رواية	٣٨ - أفراح القبة
١٩٨٢	رواية	٣٩ - ليالي ألف ليلة
١٩٨٢	مجموعة قصصية	٤٠ - رأيت فيما يرى النائم
١٩٨٢	رواية	٤١ - الباقى من الزمن ساعة
١٩٨٣	(حوار بين الحكم)	٤٢ - أيام العرش
١٩٨٣	رواية	٤٣ - رحلة ابن فطومة

١٩٨٤	مجموعة قصصية	٤٤ - التنظيم السري
١٩٨٥	رواية	٤٥ - العاشر في الحقيقة
١٩٨٥	رواية	٤٦ - يوم قتل الزعيم
١٩٨٧	رواية	٤٧ - حديث الصباح والمساء
١٩٨٧	مجموعة قصصية	٤٨ - صباح الورد
١٩٨٨	رواية	٤٩ - قشتار
١٩٨٨	مجموعة قصصية	٥٠ - الفجر الكاذب
١٩٩٥	مجموعة قصصية	٥١ - أصداء السيرة الذاتية
١٩٩٦	مجموعة قصصية	٥٢ - القرار الأخير
١٩٩٩	مجموعة قصصية	٥٣ - صدي النسيان
٢٠٠١	مجموعة قصصية	٥٤ - فتوة العطوف
٢٠٠٤	مجموعة قصصية	٥٥ - أحلام فترة النقاوه
٢٠٠٦	مسرحيات	٥٦ - المسرحيات ^(١)
٢٠١٥	مجموعة قصصية	٥٧ - الأحلام الأخيرة

(١) أصدرت دار الشروق كتاباً بعنوان: المسرحيات؛ وهو مجلد يحتوي على مسرحيات نجيب محفوظ الشهاني التي سبق نشرها موزعة على بعض كتبه الخاصة بالقصص القصيرة.

Twitter: @keta_b_n



9 789770 915479